جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠- ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١- ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع١، ص ص١٠٧ - ١٤٩، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (1), pp 107-149, King Saud University, Riyadh (1446 H / 2024)

دور الحج في طبيعة صلات القوقاز وبلاد التتار بالحجاز (١٢١٨-١٣٣٥هـ/ ١٨٠٣-١٩١٧م)

رسلان مارغوشفيلي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود
(قُدِّم للنشر في ٢١/ ١٠/ ١٤٤٥هـ، وقُبِل للنشر في ١٥/ ١١/ ١٤٤٥هـ)

الملخص:

يُعنى هذا البحث بدراسة رحلات الحج من القوقاز وبلاد التتار في المدة ما بين السنوات ١٢١٨-١٣٣٥هـ/ ١٨٠٣-١٩١٧م، ودورها في ربط وتوثيق الصلات بين شعوب تلك البلاد والحجاز. كما يتناول طبيعة الإجراءات التي تترتبت على الحجاج في الرحلة، وأهم العقبات التي واجهتهم في أسفارهم، والطرق التي سلكوها قديمًا وحديثًا، وانطباعاتهم عن سكان الحجاز. يتناول البحث إضافةً إلى ذلك التحولات التي شهدتها رحلات وطرق الحج في مراحلها المختلفة، وأسباب لجوء روسيا إلى منع الحج أو فرض القيود عليه في بعض الأحيان، وقيامها بتشديد المراقبة على الحجاج، ومحاولتها تحديد مسارات الحج والتحكم فيها، والحرص على رعاية الحج من خلال وضع القوانين الجديدة، وتطوير البنية التحتية، وتوفير وسائل النقل المناسبة براً وبحراً، مع تقديم الخدمات الكثيرة في طريق الحج، وأهم الدوافع التي حركتها من وراء ذلك. ناقش البحث كذلك الطرق الأربعة التي سلكها حجاج القوقاز وبلاد التتار، وما طرأ عليها من تغيرات خلال مدة البحث.

الكلمات المفتاحية: الحج، الحجاز، القوقاز، بلاد التتار، روسيا.

The role of the Hajj in the nature of ties beteen the Caucasus, Tatarstan and the Hejaz (1218-1335 AH/ 1803-1917 AD)

Ruslan Margoshvili
College of Humanities and Social Sciences, King Saud University
gesxu1980@gmail.com

(Received: 21/ 10/ 1445 H; Accepted for publication: 15/ 11/ 1445 H)

Abstract:

This paper deals with Hajj pilgrimage from the Caucasus and Tatarstan in the years 1218-1335 A.H./1803-1917 A.C., and its role in promoting ties beteen the people of those regions and the Hejaz. It also deals ith the nature of procedures facing the pilgrims, outstanding obstacals, roads which they took in the past and the present and their impressions of the people of Hejaz. Furthermore it deals with the transformations which the pilgrimages and their routes under went in its different times, the reasons behind Russia's preventing the Hajj or some times making restricions, tighting surveillance on pilgrims, its efforts to define and control pilgrimage routes, its keen of taking care of the pilgrimes by establishing new laws, improving the infrastructure, providing appropriate means of transportation by land and sea, providing many services on the Hajj routes, and the most important motivations behind this. The paper also discussed the four routes taken by the pilgrims of the Caucasus and Tatarstan, and the changes that they underwent during the research period.

Keywords: Hajj pilgrimage, Hejaz, Caucasus, Tatarstan, Russia.

تمهيد

القوقاز:

وردت كلمة القوقاز أو القفقاس لأول مرة في المدونات الجغرافية اليونانية، وهي كلمة سنسكريتية الأصل تعني الجبال البيضاء، أو الجبال الثلجية. واختلفت المصادر الإسلامية في تسمية جبال القوقاز، فسماها الحموي القبق، واتفق معه البغدادي في كتابه المراصد، وابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك، في حين سماها المسعودي القبج (الحموي، ١٩٧٧م، ص٣٠٦؛ البغدادي، ١٩٥٤م، ص١٠٦٤؛ ابن خرداذبة، ١٨٨٩م، ص١٧٣؛ المسعودي، ٢٠٠٥م، ص١٣٦؛ عزت؛ ١٩١٢م، ص١١؛ الشيشاني، ١٤١٥هـ، ص١٥).

تقع بلاد القوقاز عند حدود أوروبا وآسيا، ويحدها من الشرق بحر قزوين، ومن الغرب البحران الأسود وأزوف، ومن الشمال حوض مانيتش[١] ونهر القوما[٢] داخل روسيا الاتحادية اليوم، ومن الجنوب جمهوريتا تركيا وإيران (ბარამიძე, 2016, გვ. 13). يتكون شمال هذه البلاد من مقاطعتين[٣] وسبع جمهوريات ذات حكم ذاتي في إطار الاتحاد الروسي[٤]، أما الجنوب فيتكون من ثلاث دول مستقلة[٥]. وتبلغ مساحة شمال القوقاز مائتان وخمسون ألف كيلومتر مربع، أما جنوبها فمساحته مائة وتسعون ألف كيلومتر مربع. والمساحة الإجمالية نحو أربعمائة وأربعين ألف كيلومتر مربع، ويصل عدد سكانها[٦] إلى ثلاثين مليون نسمة (ბარამიძე, 2016, გვ. 13).

(١) حوض مانيتش: هو حوض الماء الضخم في جنوب شرق روسيا الأوربية بين الدون الأدنى وبحر قزوين. يضم جزءاً من أقصى شمال ستافروبولسكي كراي، وجنوب غرب روستوفسكايا أوبلاست، وجنوب شرق جمهورية قلميقيا الذاتية. يرويه نهر مانيتش الغربي الممتد طوله ٢١٩ كم –أحد روافد الدون–، ومانيتش الشرقي الذي يجري شرقاً نحو ١٦٠ كم حتى ينتهي إلى مجموعة من البحيرات والمستنقعات المالحة، التي تبعد عن غرب بحر قزوين بنحو ١٢٠ كم. (الموسوعة،٢٠١٠م، ج ٦، ص ٣٠٠١؛ Шмидт, 1939, стр. 62-63).

(٢) نهر القوما: نهر في شمال القوقاز طوله ٨٠٢ كم. تنبع روافده من كتلة جبل البروس الوسطى في قبردينو–بلقاريا، وتتجه فروعه نحو الشمال، حتى يصب في بحر قزوين. (باتسج، ٢٠٠٩م، ج١، ص٣٥١).

(٣) كراسنودارسكي كراي وستافروبولسكي كراي.

(٤) داغستان، والشيشان، وإنغوشيا، وأوسيتيا الشمالية، وقبردينو–بلقاريا، وقراتشاي–تشيركيسيا، وأديغيا.

(٥) وهي: جورجيا، وأذربيجان وأرمينيا.

(٦) أ– العرق القوقازي القديم: الجورجيون، والشيشان، والإنغوش، والشعوب الشركية بفروعها مثل الأديغ والأبخاز والقبردين..وإلخ. وبعض الداغستانيين من الآفار، والدارغين، واللزغين، واللاك، والقبائل التي تنتمي إلى هذه=

بلاد التتار:

المقصود بالتتار هم الشعوب التتارية التركية، التي تتوزّع جغرافياً في جميع مناطق روسيا الاتحادية اليوم. وينحدر التتار من البلغار[١] والخزر والأقوام التي اندمجت فيهم لاحقاً مثل القفجاق[٢]، والمغول، والصقالبة وغيرهم (Васильев и другие, 2006, т. 17, стр. 790,796). وكان لهذه المجموعات دور مهم في تاريخ نواحي جنوب وغرب روسيا الحالية خلال الحقبة الزمنية المعينة.

ويقطن في روسيا اليوم حوالي خمسة ملايين ونصف من التتار، إضافة إلى أكثر من ثلاثمائة ألف تتاري في القرم[٣]، ويمثلون ثاني أكبر مجموعة عرقية بعد الروس. ويعيش معظمهم في أراضيهم التاريخية (نواحي الفولغا والأورال)، التي تنقسم حالياً إلى منطقتين فدراليتين، إحداهما: منطقة الفولغا الفدرالية الواقعة في الجزء الجنوبي الشرقي من روسيا الأوروبية، والثانية: المنطقة الفدرالية الأورالية الواقعة في أقصى غرب الجزء الآسيوي الروسي (Белов. и другие, 2016, стр: 3-9).

=القوميات الأربع. ب- العرق المغولي التركي: القراتشاي، والبلغار، والآذار، والتتار، والقومق، والنوغاي، والقبجاق، والقلميق، وأتراك المسخيت. ج- العرق السلافي: الروس، الأوكرانيون، والبولنديون. د-العرق الآسيوي الغربي: الأرمن، والأسيتيون الشماليون والجنوبيون، وبعض سكان أذربيجان وداغستان وجورجيا. انظر: (مارغوشفيلي، ٢٠١٧م، ص٣٦).

(١) البلغار: من الأقوام ذوي الأصول التركية، تقع بلادهم إلى الشمال من إقليم الخزر. وهم من أسلاف التتار الذين يعيشون في روسيا اليوم. (الحموي، ١٩٧٧م، ج ١، ص ٤٨٤؛ دنلوب، ١٩٩٠م، ص٧١).

(٢) القفجاق أو القبجاق، هم شعب من أصل تتري، صالوا وجالوا في جنوب روسيا قروناً عديدة، أول ذكر لهم كان في القرن الثامن الميلادي كجزء من الخاقانية التركية، موطنهم الأصلي سهول آسيا الوسطى تحديداً منطقة ألتاي. (باتسج، ٢٠٠٩م، ج١، ص١٨١؛ Энциклопедия, 1939, Т. 32, стр. 359).

(٣) القرم: شبه جزيرة تقع على الساحل الشمالي للبحر الأسود، وعاصمتها سيمفروبول (Гранат, Т. 26, стр 94).

رحلات الحج منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي:

منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري/ أواخر السابع عشر الميلادي قام بعض الحجاج التتار بتوثيق رحلاتهم إلى الحج، وأقدم مَنْ وصف رحلته إلى الحجاز هو الحاج التتاري "مُرتاز بن قوطلوغوش السيميطي" في عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٨م، وهي عبارة عن مقالة قصيرة، مكتوبة على شكل رسالة خاصة، ويصف رحلته إلى شبه الجزيرة العربية عبر مُدن آسيا الوسطى، وإقليم فارس، والعراق، وبلاد الشام، والحجاز (Алеева, 1977, стр: 2). وفي عام ١١٦٤هـ/ ١٧٥١م وصف التاجر التتاري "إسماعيل بيك محمدوف" رحلته إلى الحج عبر آسيا الوسطى، وأفغانستان، والهند، ومنها إلى الحجاز (Гафаров, 2014, стр: 154.). كما سجل محمد أمين سياختنميسي رحلته إلى الحجاز عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م عبر قازان، وأستراخان، وبلاد القوقاز، وإستانبول، ورودس، ومصر، والحجاز(Алеева, 1977,стр: 2).

من ناحية أخرى دخلت روسيا ميدان التحكم في طريق الحج القادم من بلاد التتار، وآسيا الوسطى منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ وذلك نتيجةً لتوسعها وتمددها تجاه القوقاز وآسيا الوسطى خطوة بخطوة. وعلى خلفية هذه التطورات الجديدة، أصبح المسلمون يمثلون عدداً كبيراً بين سكان روسيا في بدايات القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي.

وقد أصبح الحج في أثناء الغزو الروسي شبه سرياً في القوقاز[١]، فكان الحجاج يتفقون مع أفراد من البلدان الإسلامية القريبة، ويرحلون إلى الحج بالتنسيق معهم[٢]. وقد ساهم

(١) ومن ضمن الشخصيات القوقازية البارزة التي تشرفت بالحج، الشيخ حاج محمد أفندي بن موسى كودوتلينسكي من قومية آفار بداغستان، درس أساسيات الدين في بلده، ثم توجه إلى الحجاز عبر مصر في مستهل القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر الثامن عشر الميلادي، وأدى فريضة الحج، وأقام مدة في الحجاز، ثم رجع إلى بلاده، وصار من مشاهير العلماء، وله مؤلفات عديدة. وأيضاً تشرف الشيخ حاج محمد تشلبي من كبار علماء الداغستان بأداء الحج سبع مرات في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن والتاسع عشر الميلادي. (алкадари, 1929, стр. 140, 147, 155)

(٢) تذكر بعض المصار أن الشيخ منصور الشيشاني (١١٧٥-١٢٠٨هـ/ ١٧٦٢-١٧٩٤م)، وهو أول أئمة القوقاز، الذين قادوا الثورة ضد الروس في شمال القوقاز ما بين (١١٩٩-١٢٠٦هـ/ ١٧٨٥-١٧٩١م)، فقد حاول=

القوقازيون الذين حجوا واستقروا في الحجاز في ترغيب وحث بني جلدتهم على السفر إلى الحجاز؛ لأداء فريضة الحج. كما كان سكان القوقاز يتأثرون بكلام من سبقهم بالحج، ومن ثم يتخذون قراراً بشأن أداء فريضة الحج، رغم المصروفات الهائلة، ومخاطر الطريق، خاصةً لكبار السن.(Арсанукаева, и другие, 2014, стр: 127-128) . وفي مقابل ذلك يكتسب الحاج مكانةً معنويةً كبيرةً، وقد جرت العادة في بلاد الشركس، بعد عودة الحاج من مكة أن يقوم سكان قريته والقرى المجاورة بزيارته؛ للسلام عليه، والاستماع إلى ما لديه من علوم ومعارف وخبرات اكتسبها خلال الرحلة. ومن الجدير بالذكر أن الحجاج كانوا يمثلون مصدراً من أهم مصادر المعرفة في المجتمعات القوقازية بشكل عام (باتسج، ٢٠٠٩م، ج٢، ص٣٧٩).

وفي عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م سمحت روسيا لرعاياها المسلمين في القوقاز بأداء الحج رسمياً لأول مرة بعد غزوها (Шафиков, Том. 156, стр: 103)، على أمل التحكم في حركة الحج، وإعطائها الصبغة القانونية، حتى تظهر أمام رعاياها الجدد كدولة مهتمة بشؤون مواطنيها المسلمين. يأتي ذلك في ظل عجز الإمبراطورية الروسية عن إحكام السيطرة الكاملة على بلاد القوقاز مدة طويلة؛ بسبب المقاومة الشديدة في النواحي الشمالية. وقد كانت تأمل من وراء ذلك إلى تهدئة الأوضاع في تلك المناطق.

وفي هذا السياق سعت روسيا منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي إلى أن تصبح طرفاً مهماً إلى جانب الدول الإسلامية المجاورة في تنظيم الحج، حتى تكون حاضرة في أمور كثيرة، خاصة منها الاقتصادية والاستراتيجية عن طريق اهتمام ورعاية شؤون حجاجها. ومن ناحية أخرى كانت روسيا تنظر إلى بعض هؤلاء الحجاج بأنهم أدوات

=التوجه إلى الحجاز في آخر حياته؛ لأداء فريضة الحج، إلا أنه لم يتمكن من ذلك؛ بسبب الحالة الحربية مع الروس. غير أن أهم الأشخاص من محيطه استطاعوا أن يحجوا، مثل محمد حاج، وعمر حاج، وعثمان حاج، وميرزا حاج، وسلطان حاج، وجامبي حاج وغيرهم. انظر:(Арсанукаева и другие, 2014, стр: 114-115)

في يد الدولة العثمانية، التي تستغلهم في دعم الثوار في شمال القوقاز. ولهذا لجأت بين حين وآخر إلى منع الحج وفق المعطيات الأمنية.

فمثلا فرضت روسيا الحظر لعدة مرات على الحجاج القوقازيين الشماليين ما بين عام ١٢٣٨-١٢٥٦هـ/ ١٨٢٢م -١٨٤٠م، وكذلك في بعض الأحيان في السنوات ما بين ١٢٥٦-١٢٧٧/ ١٨٤٠-١٨٦٠م (Арсанукаева и другие, 2014, стр: 118-121; გელოვანი, 2021, გვ.35)، وذلك بناء على توصيات السلطات المحلية في القوقاز، لأن روسيا كانت متخوفة من عرقلة طموحاتها التوسعية في المنطقة. كما عمدت روسيا إلى نشر بعض الجواسيس في المدينتين المقدستين مكة والمدينة بمبادرة من وزارة الخارجية سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م؛لمعرفة توجهات وتصرفات حجاج القوقاز في الحجاز(Кейн, стр: 40) .

وبعد سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م قامت روسيا بواسطة السلطات المحلية في القوقاز بخطوة مهمة؛ لتنظيم وضبط رحلات الحج، وذلك عن طريق إصدار الجوازات الخاصة للراغبين في السفر إلى الحجاز(Кейн, стр: 40-42) . وبهذه الخطوة أرادت روسيا أن يسلك الحجاج طرقاً مرغوبة لدى السلطات الروسية. فحاولت جاهدة حصر حركة الحج براً وبحراً، من أجل السيطرة عليها، وتحقيق طموحاتها الإقليمية والدولية من ورائها، مع الاطمئنان من سلامة نوايا الحجاج تجاه الإمبراطورية الروسية.

وبانتهاء الحظر الروسي على الحجاج القوقازيين عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، بدأت رحلات الحج الرسمية من بلاد القوقاز؛ إذ سيّرت زوجة أحد أمراء الداغستان على حسابها وفد حجاج قوامهم عشرون شخصاً، بينهم ثلاثة قضاة من مناطق مختلفة. ودبرّت لهم جوازات السفر بواسطة السلطات المحلية في القوقاز، كما أرسلت معهم هدايا نفيسة إلى المسؤولين في مكة والمدينة (Кейн, стр: 34) .

وفي طريقه إلى الحجاز تعرضت قافلة الوفد لهجوم من فئات بدوية سلبوهم كل شيء، مما اضطر هؤلاء الحجاج إلى اللجوء إلى القنصلية الروسية في بيروت طالبين النجدة. وعليه وصلت الشكوى عن طريق السفارة الروسية في إستانبول إلى الحكومة العثمانية، التي كلفت

المسؤول العثماني في الحجاز بمتابعة الموضوع، وبعد التحقيق وجد ذلك المسؤول البدو المهاجمين، فأخذ منهم ٤٢٥ بعيراً، وبعد بيعها، أُعطيت قيمتها لوفد الحجاج الداغستانيين (Кейн, стр: 34-35).

واصلت روسيا اهتمامها بشؤون الحج بالتدريج؛ إذ فتحت القنصليات في بيروت، وحلب، ودمشق، ومدن عربية أخرى بدءاً من أواسط القرن الثالث عشر الهجري/ أربعينات التاسع عشر الميلادي. وقد ركزت تلك القنصليات في غالب الأحوال على حجاج بلاد القوقاز أكثر من غيرهم، لأن الغزو الروسي كان مستمراً هناك؛ وكذلك المقاومة الشديدة من الجبليين بقيادةالإمام شامل(Казиев, 2010) في الشيشان والداغستان (Казиев, стр: 36-38)

من ناحية أخرى فرض الإمام شامل بعض القيود على سكان الأراضي الخاضعة له في شمال القوقاز فيما يتعلق بسفرهم إلى الحجاز، وكان على الأشخاص القادرين على الحرب فحسب، وذلك من منظور الحالة الحربية مع الإمراطورية الروسية. وفي الوقت ذاته كان كبار السن الراغبين في السفر لأداء الحج، يلقون كل الدعم والمساندة من ميزانية خها لهذا الغرض (Арсанукаева и другие,2014, стр: 115-122-123-124).

وعلى الرغم من القيود المفروضة على رحلات الحج في بلاد القوقاز سواء من الطرف الروسي، أو من الإمام شامل، إلا أن الكثيرين منهم كانوا يحجون بطرقهم الخاصة، فبعضهم أدوا الحج أكثر من مرة. ومع نهاية حرب الشيشان والداغستان ضد الروس عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م، تضاعف عدد الحجاج القوقازيين، حتى أن أقرب نواب ومريدي الإمام شامل، الذين بقوا على قيد الحياة بعد استسلامه، قاموا بأداء فريضة الحج. كما أذنت السلطات الروسية للإمام شامل بالسفر إلى الحجاز في سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، فتيسر له الحج في نهاية عام ١٢٨٦هـ/ بداية ١٨٧٠م (Магомедкамильевна, 2017, стр: 148).

وفي شوقهم إلى الحج قدم عدد كبير من القوقازيين بينهم خمسون شخصاً من داغستان نحو إستانبول بنية الحج في سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م، فخاطبوا سلطات الدولة العثمانية، بأن تتكرم بتوفير سفينة مناسبة لنقلهم من إستانبول إلى الحجاز، وجاءهم الجواب بالموافقة

(الأرشيف العثماني، MKT. 238/60). كما وردت أسماء علماء الداغستانيين الذين خرجوا قاصدين السفر إلى الحجاز برفقة بعض أفراد عائلاتهم؛ لأداء فريضة الحج، وزيارة المدينة المنورة. وذلك في عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٩م، وكان عددهم بالعشرات، فقد يسّرت لهم الدولة العثمانية وسيلة النقل من إستانبول إلى الحجاز، مع توفير أماكن الإقامة هناك (HR. MKT. 1338/73).

كما توافد بعض الشيوخ الداغستانيين[1] عبر إستانبول؛ لأداء فريضة الحج في عام ١٢٧٨ه/ ١٨٦٢م. وتم توجيه كتاب بخصوص هؤلاء الشيوخ من طرف السلطات العثمانية إلى والي مصر، ووالي الحجاز، ومسؤولي الحرمين الشريفين، مفاده أن يتم تقديم كافة التسهيلات اللازمة لهم، وتكريمهم، واحترامهم، حتى يؤدوا حجهم بالراحة دون أية عوائق (A. MUT. VM 467/58). ربما كان هؤلاء الشيوخ الداغستانيين ممن شاركوا أو دعموا المقاومة ضد الإمبراطورية الروسية في شمال القوقاز.

ومما يلاحظ تنامى عدد الحجاج التتار منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ومنهم بعض العلماء الأفاضل مثل فخر الدين بن سجانقل الكيجوجاتي، الذي سافر عبر آسيا الوسطى إلى الحجاز عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، فأدى فريضة الحج، وأقام فيها مدة، صحب خلالها بعض علماء الحرمين، فاستفاد منهم. وبعد عودته عن طريق إستانبول، تعين قاضياً في إحدى مناطق أقصى شرق الدولة العثمانية بأمر من السلطان محمود الثاني[2]، وظل في منصبه إلى أن توفي عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م. ومنهم شاعر وأديب كبير يدعى أبو المنيخ بن أبي الفيض القرغالي، أدى الحج مرتين بصحبة الفضلاء الآخرين في عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م، وتوفي في أثناء العودة بعد أداء الحج الثاني في سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م.

(١) هم: مصطفى، ومحمد، وعلي، وإسلام، وطاهر، ومحمد، وثابت أفندي.

(٢) السلطان محمود الثاني بن السلطان عبد الحميد الأول (١٧٨٤-١٨٣٩م). حكم ما بين (١٨٠٨-١٨٣٩م). يقترن اسمه بالإصلاح الداخلي لأنظمة الدولة وبعض مؤسساتها. وقد قام بالقضاء على الإنكشارية واستبدالهم بجيش نظامي. انظر: (الموسوعة، ٢٠٠٩، ج٢٢، ص٣٧٤).

وله ديوان شعر مطبوع، يذكر فيه تشرفه بالحج، وزيارته المدينة المنورة (الرمزي، ج٢، ص٣٤٨-٣٥٠).

وسافر عالم تتاري آخر اسمه إيشمحمد بن زاهد الكوبالي (١١٥٧-١٢٥٦هـ/ ١٧٤٤-١٨٤٠م) إلى الحجاز ماشياً حينما كان عمره ٢٢ سنه، فحجّ وزار المدينة، ودرس على كبار مشايخ الحرمين مدة طويلة، ثم رجع إلى بلاده عالماً كبيراً. وقد توفي عن عمر يناهز ١٠٠ سنة. كما حجّ نعمة الله بن عمر الأوتاري عبر آسيا الوسطى وأفغانستان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وفي أثناء العودة استقر في إستانبول، واشتهر هناك بالعلم والفضل، وتوفي عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م. وكذلك جعفر بن صالح القولاتقي، الذي سافر إلى ديار الحجاز عبر آسيا الوسطى عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م، وبعد أداء الحج، جاور في المدينة المنورة ١٢ سنة، ثم رجع إلى بلاده عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م. فصار له فيها مسجداً خاصاً، وكان جيد الإفادة وكثير الطلبة، توفي عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م (الرمزي، ج٢، ص٣٤٦، ٣٦٣، ٣٨٦-٣٨٧).

كما حجّ الشيخ عبد الخالق بن عبد الكريم (١١٨٥-١٢٦٠هـ/ ١٧٧١-١٨٤٤م). فقد توجه إلى إستانبول، ومنها إلى الحجاز في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. وبعد الحج وزيارة المدينة المنورة، أقام متعلماً في مكة المكرمة سنين، وفي المدينة المنورة سنة واحدة، ثم رجع إلى بلاده، واشتغل بالتدريس. ومنهم: شاه أحمد بن يوسف، الذي كان يعمل في خدمة الخيالة الروسية، وبعد انتهاء عمله بها سافر إلى الحجاز. مكث في رحلته هذه حوالي ست سنوات، ليعود بعدها إلى بلاده، ليعمل مأذوناً لعقود الأنكحة، وبنى مسجداً بإحدى القرى، واشتغل بالدعوة هناك حتى وفاته سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م (الرمزي، ج٢، ص٣٦٦-٣٦٧، ٣٧١-٣٧٢).

ومن الواضح، أن صلات القوقاز وبلاد التتار بالحجاز لم تنقطع رغم قساوة الظروف والتحولات، وذلك انطلاقاً من ضرورة السفر من أجل أداء فريضة الحج، الذي مثّل محوراً أساسياً في التواصل الحضاري بين الشعوب الإسلامية. وأيضاً يظهر مما تقدم، أن حجاج

القوقاز وبلاد التتار كانوا يسلكون خمسة مسارات رئيسية في سفرهم إلى الحجاز حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، **المسار الأول**: عبر بلاد القوقاز، وآسيا الصغرى، وبلاد الشام، ومنها إلى الحجاز مباشرة أو عبر مصر. **المسار الثاني**: عبر بلاد القوقاز، وبلاد فارس، والعراق، وبلاد الشام، والحجاز. **المسار الثالث**: عبر آسيا الوسطى، وبلاد فارس، والعراق، وبلاد الشام، والحجاز. **المسار الرابع**: عبر آسيا الوسطى، وأفغانستان، والهند، ومنها إلى الحجاز. **المسار الخامس**: عبر بلاد القوقاز وإستانبول، ورودس، ومصر، والحجاز.

-فهكذا ظل تواصل القوقاز وبلاد التتار مع الحجاز قائماً بواسطة رحلات الحج منذ وصول الإسلام إلى تلك البلاد، مما أتاح لهذه البلاد وشعوبها تقوية الروابط مع المدينتين المقدستين مكة والمدينة في شتى المجالات، خاصة منها المجال الديني، والعلمي، والثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي، الأمر الذي أدى إلى توغل الثقافة الإسلامية في نواحي القوقاز وبلاد التتار، وثبات أهلها على الدين الإسلامي، على الرغم من التحولات والأحداث التي شهدتها المنطقة. ناهيك عن دور الحج ومدى تأثيره في طبيعة الصلات بين الحواضر الإسلامية وتلك البلاد على مر التاريخ.

التحول في طبيعة الحج الروسي من عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م:

شهدت الإمبراطورية الروسية تحولاً كبيراً فيما يتعلق بأمور الحج منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، فأصبح الحج ظاهرة جماعية بعد ضم روسيا المناطق الإسلامية الجديدة، وإنشاء شبكة مواصلات حكومية واسعة النطاق، وفي مقدمتها بناء خطوط السكك الحديدية في أنحاء الإمبراطورية الروسية كافة، وتوفير خدمات السفن البخارية المنظمة على البحر الأسود؛ مما أدى إلى تسهيل وصول المسلمين والنصارى الروس إلى الأماكن المقدسة في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، فاكتسب النقل بالسكك الحديدية والبحرية شعبية كبيرة بين الحجاج (Нуриманов, 2019. № 2, стр: 74-75).

ساعد تحديث روسيا البنية التحتية وتحديد مسارات الحج، على تقليص مدة الرحلة إلى الحجاز، فصار الحج أسهل، لأن الذهاب والعودة صار ممكناً خلال شهور بدلا من سنة أو أكثر، وذلك بفضل وسائل النقل الجديدة المتمثلة في السكة الحديدية والبواخر. كما ساهم فتح قناة السويس عام ١٢٨٦ه/ ١٨٦٩م، في ربط المناطق الشمالية بما فيها روسيا بالبحر الأحمر عبر البحرين الأسود والمتوسط(Кейн, стр: 58).

أرادت روسيا عن طريق تجديد البنية التحتية وتوظيفها لخدمة الحجاج، تقييد مسارات الحج، والسيطره عليها، لأن المسافرين إلى الحجاز ازدادوا بشكل ملاحظ، فأصبح عدداً كبيراً من سكان نواحي الإمبراطورية الروسية يحجون عبر موانىء البحر الأسود(Кейн, стр: 51-52). وفي طريقهم إلى الحج سلك بعض سكان بلاد فارس، وأفغانستان، والصين موانئ البحر الأسود الروسية (Нуриманов, 2019, стр: 76; Кейн, стр: 51-52). فمثلاً كان بعض الحجاج الفرس يحجون عبر أذربيجان وجورجيا بالقطار، ثم ينطلقون من ميناء باتومي بالباخرة نحو إستانبول أو إلى جدة مباشرة، وقد أثنوا على سرعة الطريق (გელოვანი, 2021, გვ. 152-153; Кейн, стр: 104).

تضاعفت حركة الحج في روسيا خصوصاً في نواحي القوقاز والتتار، فازداد العدد بشكل مطرد ما بين عامي ١٢٨٠-١٢٨٣هـ/ ١٨٦٤-١٨٦٧م، ونتيجة لهذا التوسع، تخوفت روسيا من عدم السيطرة على رحلات الحج، وعليه لجأت إلى حصر تدفق الحجاج بوضع حد لإصدار الجوازات الخاصة بالحج. لكن محاولات السلطات الروسية واجهت بعض العقبات، لأن الحجاج وجدوا طرق أخرى وذلك بالحصول على جوازات أخرى مزيفة مثل الجوازات الصينية أو البخارية، أو الفارسية المزيفة مقابل أسعار عالية، وقد كانت تبيعها عصابات في موانئ البحر الأسود (Кейн, стр: 61-66).

وقد برزت مشكلة تكاليف السفر في شكوى تلقتها السفارة الروسية في إستانبول عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م من السلطات العثمانية حول قدوم الحجاج القوقازيين يفوق عددهم

ألفين، ومعهم كمية هائلة من السلاح، بل إن أحدهم كان لديه ثلاثمائة بندقية وكانوا يخططون بيعها لتغطية تكاليف سفرهم. خاطبت تلك السفارة حكومتها بضرورة تشديد الرقابة الأمنية على الحدود، فهذا الأمر أقلق المسؤولين الروس، الذين أحسوا بأن حركة الحج صارت خارج السيطرة، وغير خاضعة للرقابة (Кейн, стр: 67-68). ويبدو أن هؤلاء الحجاج القوقازيين أرادوا بيع تلك الأسلحة في الولايات العربية وخاصةً الحجاز.

أثر هذا الحادث، جرت مناقشة حول المشكلات المتعلقة بالحج والحجاج في الإمبراطورية الروسية في نهاية عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م. وذلك بمشاركة وزارة الخارجية، وإدارات الأقاليم، والسفارة الروسية في إستانبول، والقنصليات في مدن الولايات العربية (Нуриманов, 2019, стр: 78). وقد تباينت آراء تلك الجهات حول كيفية حل هذه المشاكل، غير أنها اتفقت على ضرورة تحكم الدولة في حركة الحج، وأن يكون ذلك في خدمة المصالح الروسية بشكل عام. كانت عملية تقليص عدد الحجاج من أهم المسائل المختلف فيها بين الأطراف، كما يتضح ذلك في المراسلات اللاحقة بين السفير الروسي إغناتيف(١) ووزارة الداخلية، حيث يُبين فيها السفير تفاصيل المسألة المتعلقة بتقليل عدد الحجاج، التي اقترحها في أثناء المناقشات، وعارضه فيها المسؤولون في القوقاز. أشار السفير إلى أنه لا يهدف إلى التضييق على المسلمين الروس في أداء الحج، أو إثارة مشاعر الجبليين في شمال القوقاز، كما يعتقد البعض، وإنما أراد العناية بالحجاج الروس، حتى لا يتعرضوا لمواقف معينة تؤدي بهم إلى الوقوع في المشاكل، التي تشوه صورة روسيا كدولة عظمى، وتتضرر مصالحها العليا (Хабибуллина, 2018, стр: 32-34).

كما لقي اقتراح إغناتيف حول تقليص عدد الحجاج اعتراضاً ليس من المسؤولين في القوقاز فحسب، بل من حكام مناطق الإمبراطورية الروسية الأخرى أيضاً، مثل حاكم

(١) إغناتيف نيكولاي بافلوفيتش (١٨٣٢–١٩٠٨م)، رجل دولة، دبلوماسي، مساعد عام الكونت، سفير روسيا في إستانبول ما بين ١٨٦٤–١٨٧٧م، وزير الداخلية منذ عام ١٨٨١م، وعضو مجلس الدولة. (Хабибуллина, 2018. стр: 32).

مقاطعة أورنبورغ[١]، الذي أعرب في مراسلاته مع الجهات الحكومية عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، عن استيائه من إقتراح إغناتيف، معللاً أن ذلك يثير حفيظة المجتمع الإسلامي في روسيا، وبخاصة منهم سكان القوقاز والقرم، ويؤدي إلى التعصب الديني بين صفوف المسلمين بشكل عام. فضلاً عن احتمالية استغلال الدولة العثمانية مثل هذا الإجراء لصالحها. ومن أجل ذلك ليس مفيداً لروسيا تقييد أو تقليل عدد حجاجها، بل سيكون ضرره أعظم (Хабибуллина, 2018, стр: 40).

إن تشكيل شبكة قنصلية في المراكز المحورية على امتداد طريق الحج منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، يؤكد مدى اهتمام السياسة الروسية بشؤون الحج، حيث تم تكليف القنصليات بمجموعة واسعة من الوظائف المتعلقة بالحج، وبخاصة منها قنصلية جدة، التي تأسست لاحقاً في عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م. وصار إبراجيموف أول قنصل لها في جدة[٢]، وقد كلفته ببعض المهام، منها: أن يتحقق من سجلات المواطنين الحجاج، الذين لهم التوجه المعاديى لروسيا، وأن يحج بنفسه، حتى يكون لديه التصور الشامل ليس في جانب الحج والحجاج فحسب، بل أن يعرف مدى الأهمية السياسية للمدن الإسلامية المقدسة، وأن يدرس الأوضاع التجارية فيها، ومدى إمكانية ارتباطها بروسيا تجارياً. إضافة إلى تكوين العلاقات مع الشخصيات المهمة، والشيوخ، وترتيب رحلات إلى أعماق شبه الجزيرة العربية؛ للاطلاع على أحوالها السياسية، ودراسة الإمكانيات التجارية في ينبع، وكلفته بتعيين جاسوس هناك (Нуриманов, 2019, стр: 79-80).

(١) أورينبورغ، تقع وسط روسيا الآسيوية بالقرب من كازخستان، على الضفة اليمنى من نهر أورال. وتبعد عن موسكو أكثر من ١٥٠٠ كم. يقطنها عدد كبير من التتار (Энциклопедия, 1939, стр. 321-322.).

(٢) شاخيماردان إبراجيموف ميراسوفيتش (١٢٥٧-١٣٠٩هـ/ ١٨٤١-١٨٩٢م) أول قنصل روسي في الحجاز، وهو تتاري الأصل من مدينة أورينبورغ الروسية، تولى عدة مناصب، عَمِل سفيراً في بخارى، ثم قنصلاً في كاشغر إحدى أشهر مدن تركستان الشرقية في الصين، وفي عام ١٨٩١م تم تعيينه أول قنصل عام لروسيا في جدة. توفي عام ١٨٩٢م في أثناء أداء فريضة الحج بالقرب من مكة بعد إصابته بمرض الكوليرا (Ишаев, стр: 2-3).

حاولت روسيا من خلال الحج، توسيع دائرة النفوذ في الشرق الأوسط منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، فقامت بشراء الأراضي في القدس؛ لفتح مؤسسات دينية، وتعليمية، وخيرية للسكان الأرثوذكس. كما عملت على تطوير البنية التحتية، وتحديث وسائل النقل في روسيا؛ لتنظيم وتيسير رحلات الحج، وتطوير التجارة، وحماية المصالح الاستراتيجية، ومد النفوذ الجيوسياسي (Арсланова, 2017, стр: 251-252). ونتيجةً لذلك أصبح نظام رحلات حج الأرثوذكس الروس إلى القدس نموذجاً احتذت به الجهات الحكومية الروسية في تنظيم رحلات الحج الإسلامية (Нуриманов, 2019, стр: 75; Арсланова, 2017, стр: 250-251).

وكانت روسيا مقتنعة، بأن تحديث وسائل النقل، واحتواء حركة الحج، وإلزام المسلمين باختيار المسارات الرسمية، سيؤدي إلى المزيد من الاستقرار في الدولة، ويخدمها في تحقيق الطموحات الاستعمارية في ظل التنافس الدولي، ويساعدها في توسيع دائرة النفوذ على المستويين الإقليمي والدولي، مع تحقيق المكاسب السياسية والاقتصادية. ولهذا لم تألو روسيا جهداً في سبيل جذب وتشجيع الحجاج من كافة أراضي الإمبراطورية وخارجها على استخدام المسارات التي حددتها. كما حرصت على ربط الصلات المباشرة مع العالم العربي بدون وساطة الدولة العثمانية (Арсланова, 2017, стр: 94-95).

ومع نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر التاسع عشر الميلادي، ترك عشرات الآلاف من حجاج القوقاز والتتار وغيرهم طرق القوافل القديمة، متجهين إلى الحجاز عبر أراضي الإمبراطورية الروسية، وموانئها على البحر الأسود. لفت هذا الأمر انتباه شريف مكة[1]، الذي كان يرسل سنوياً العديد من المرشدين المحترفين (المطوفين) إلى أماكن مختلفة

(١) كان الأشراف وحاشيتهم يُعدون المرشدين أو الأدلاء؛ لخدمة الحجاج، ويختارونهم حسب مواصفات معينة. أما الشريف المذكور هنا، هو عبد المطلب بن غالب بن مساعد الحسني (١٢٠٤-١٣٠٣هـ/ ١٧٩٠-١٨٨٦م)، تولى شرافة مكة لثلاثة فترات، الأولى في عام (١٢٨٢هـ/ ١٨٢٧)، والثانية: (١٢٦٧-١٢٧٢هـ/ ١٨٥١-١٨٥٦م) والثالثة: (١٢٩٧-١٢٩٩هـ/ ١٨٨٠-١٨٨٢). (الزركلي، ٢٠٠٢، ج٤، ص١٥٤؛ Айлин Кейн, стр: 76-77).

من العالم، وفي عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م جعل من بينها بعض المدن الروسية الساحلية على البحر الأسود (Нуриманов, 2019, стр: 76). فكان هؤلاء المرشدون يدخلون مناطق روسية، ويرغبون سكانها في أداء الحج، مقترحين عليهم خدمة النقل والإرشاد مقابل أجرة معينة(Арсанукаева и другие, 2014, стр: 27).

وظفت السلطات الروسية بعض الجرائد للدعاية حول مستجدات الحج في كافة أنحاء الإمبراطورية، مبينةً فيها طبيعة الإجراءات الرسمية، وجهود الدولة من أجل تحسين خدمات الحج، ومدى أهمية دور القنصليات الروسية في سبيل دعم، ورعاية مواطنيها في حال واجهوا أية عقبات في سفرهم إلى الحجاز، مع التأكيد على ضرورة مراجعة جميع رعايا الإمبراطورية الروسية تلك القنصليات، واتباع التوجيهات والارشادات التي تقدمها لهم. وقد أثمرت هذه الدعاية الروسية في زرع الثقة بين الناس بقدر كبير، وإقبالهم على التسجيل عبر القنوات الرسمية؛ لأداء الحج (Кейн, стр: 76-77).

وكان في كل جماعة من مجموعات الحجاج وكيلاً أو جاسوساً يراقبهم طوال رحلة الحج، مع التركيز على علاقاتهم في الحجاز، فيتم الإبلاغ بجميع المعلومات إلى الجهات المعنية، ناهيك عن إرسال الجواسيس الآخرين لمهمات سرية في جدة، ومكة والمدينة، فكان منهم حتى بعض المسؤولين (Кейн, стр: 128)، مثل شاكرزيان إيشاييف(١)، الذي وصل إلى جدة عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م؛ ليعمل في القنصلية الروسية بجدة، وقد تولى مهمته الإشراف ومراقبة الحجاج، وإرسال التقارير الدورية. وقد استفادت الحكومة الروسية من تقاريره، وقامت بإصلاح أشياء كثيرة بناء على ما ورد في تلك التقارير، التي أوصت ببعض الأمور يمكن من خلالها تحسين خدمات الحج، ورفع قدر وسمعة روسيا(Кейн, стр: 84-85).

(١) شاكرزيان إيشاييف من مسلمي التتار. وهو قنصل روسيا في مدينة جدة منذ عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م، فقام بأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م. لقد وصف رحلته باختصار من جدة إلى مكة والمدينة (Ишаев, стр: 5-24).

لجأت روسيا في بعض الأحيان إلى منع الحج؛ بسبب تفشي المرض، وحصل ذلك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ أوخر التاسع عشر الميلادي أكثر من مرة، لكن الحظر أو المنع من الحج لم يوقف حركة الحج في أراضي الإمبراطورية الروسية. لجأ الحجاج في تلك الظروف للعودة إلى طرق القوافل البرية القديمة، وبخاصة منهم القوقازيون. ولهذا استمر الحج رغم المنع عبر بلاد فارس وآسيا الوسطى بدون جوازات السفر المقررة (ريزفان،١٩٩٣م، ص٣٢٣). ناهيك عن ظهور بوادر الاضطرابات في المجتمعات القوقازية والتتارية خلال فترة المنع، مما جعل روسيا تضطر إلى البحث عن المخرج، والسماح بالحج وفق ضوابط معينة(Гафаров, 2014, стр: 158).

حاولت روسيا السيطرة على حركة الحج، ورفع سمعتها كدولة ضمت المناطق الإسلامية، وتقودها إلى العيش الأفضل، لأن الحج لم يكن فقط من شعائر الدين باعتقاد روسيا، بل كان مفتاحاً لها؛ لتوسيع تجارتها، وتحقيق طموحاتها التوسعية، لذا كانت تعمل حثيثاً على دمج شعوبها الجديدة، وإشعارها بانتمائها إلى روسيا (Кейн, стр: 158-160).

ومن الجدير بالقول أن روسيا نجحت بشكل كبير في جذب الحجاج إلى طريق البحر الأسود، لكونه أسرع وأكثر أماناً مقارنة بالطرق البرية البديلة، لكن ظل الكثير من سكان القوقاز والتتار وغيرهم، يتوجهون إلى الحجاز عبر قنوات غير رسمية(Шафиков, стр: 104; Арсанукаева, и другие, 2014, стр: 125-126.)، لأنهم استاءوا من طبيعة الإجراءات الرسمية، وتدابير المحاجر الصحية (HR. SYS. 1370/63)، وعدم التطابق بين خدمات البواخر والأجرة المطلوبة على النقل، ناهيك عن رغبة الحجاج الشيعة في المرور على بلاد فارس والعراق؛ لزيارة بعض الأماكن المقدسة عندهم (Шафиков, стр: 104; Арсанукаева и другие, 2014, стр: 125-126; Кейн, стр: 150-151).

طرق حج القوقازيين والتتار:

جاء اختيار حجاج القوقاز والتتار لطرق الحج حسب الظروف، والإمكانيات والأهداف، فمثلاً حينما لجأت روسيا إلى منع الحج في بعض السنوات على خلفية تفشي مرض الطاعون، أخذ القوقازيون يستخدمون طرق القوافل البرية القديمة عبر آسيا الصغرى أو بلاد فارس متفادين قرار الدولة (Нуриманов, 2019, стр: 80). أما التتار فسلكوا غالباً في أثناء المنع طريق شرق أوربا بالقطار عبر وارسو، وفينا[1] ودول أخرى، ومنها إلى إستانبول ومصر والحجاز، فكانوا يخرجون من بلادهم قبل الحج بفترة معينة تحت ذرائع مختلفة، كأنهم يسافرون لغرض العلاج أو التجارة أو الدراسة، ثم إذا جاء موسم الحج، يحجون من مكان سفرهم (Шафиков, стр: 104). وآخرون من حجاج التتار سافروا إلى الحجاز كالحجاج القوقازيين بدون وثائق عبر آسيا الوسطى، وبلاد فارس، وأفغانستان، والهند، أو عبر القوقاز وآسيا الصغرى، وبلاد الشام، ثم الحجاز(Нефляшева, 2008, стр: 164).

وفيما يتعلق بالحجاج الشيعة من بلاد القوقاز، فيسلكون غالباً الطريق عبر فارس والعراق، وبلاد الشام، مروراً بالأماكن المقدسة لديهم هناك (Шафиков, стр: 104) . كما دفعت الظروف المادية الكثير من الحجاج المعسرين إلى اختيار طرق القوافل البرية القديمة في أوقات المنع وغيرها. ناهيك عن بعض الحجاج الذين خططوا للإستفادة العلمية خلال رحلة الحج في مدن ومناطق إسلامية، وفي مقدمتها المدينتين المقدستين مكة والمدينة، فهؤلاء أيضاً سافروا في كثير من الأحيان بدون وثائق رسمية عبر الطرق القديمة (Кейн, стр: 106-107). وحول هذا الموضوع ورد في إحدى الوثائق العثمانية ذكر لبعض أسماء طلاب العلم، الذين قدموا من القوقاز وبلاد التتار إلى الحجاز عبر مناطق آسيا الصغرى وبلاد الشام بدون وثائق السفر الروسية، وذلك في عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م (DH. MKT. 1285/31).

(١) وارسو: هي عاصمة بولندا (بولونيا). أما فينا: هي عاصمة النمسا وأكبر مدنها.

يلزم حجاج الطريق البحري أو طريق السكك الحديدية، الحصول على الجواز، ووثائق السفر الأخرى، ويتم تسجيل كل التفاصيل المتعلقة برحلتهم في نقاط الحدود، والحجر الصحي، والممثليات الروسية. أما من سلكوا الطريق البري، وتجاوزوا نقاط التفتيش، ومناطق الحجر الصحي بلا وثائق رسمية، فهم لا يدرجون في إحصاءات الحجاج القادمين من الإمبراطورية الروسية (Нуриманов, 2019, стр: 80).

أدت سياسة روسيا تجاه الحج في بعض الأحيان إلى إقبال الجزء الأكبر من الحجاج على اختيار طرق القوافل البرية، فعلى سبيل المثال يشتكي الحجاج من قسوة الإجراءات الطبية في مستوصفات موانئ البحر الأسود، إلى درجة أن بعضهم لم يدركوا الحج. كما واجه الحجاج المسلمون تمييزاً في المعاملة خلال رحلة الحج عند مقارنتهم بالحجاج النصارى، وذلك في الإجراءات الطبية؛ إذ شعر الحجاج المسلمون بأنهم يتعرضون لمضايقات في الأمور الصحية، بخلاف الحجاج النصارى الذين سلموا من مثل هذه المضايقات(Кейн, стр: 54, 105-106, 150-151).

على أية حال، سلك حجاج القوقاز وبلاد التتار أربعة طرق رئيسية للوصول إلى الحجاز، وهي كالآتي:

الطريق الأول: يمر عبر موانئ البحر الأسود الروسية، وهو الطريق الرسمي الوحيد في الإمبراطورية الروسية، فكانت الرحلات تنطلق من ثلاث مدن تقع غرب جورجيا اليوم، وهي: باتومي، وبوتي، وسوخومي. وكذلك من نوفوروسيسك الواقعة جنوب غرب روسيا. أو من مدن جنوب أوكرانيا الحالية مثل: فيودوسيا، وكيرتش، وخيرسون، وأوديسا، وسيواستوبل. ومن هذه المدن إلى جدة مباشرة أو عبر إستانبول، ومنها إلى الحجاز على مسارين، عبر سوريا أو مصر. وقد استخدم هذا الطريق التتار القاطنون في الجزء الأوربي من الإمبراطورية الروسية، والجزء الأكبر من سكان القوقاز. وهو الطريق الأغلى والأصعب، من حيث الحصول على الوثائق الرسمية، لكنه أسهل، وأقل مدة للسفر(Нуриманов, 2019, стр: 81-82).

أما المسار المصري القادم من إستانبول، فيمرّ عبر الإسكندرية والسويس، ومنها إلى موانئ ينبع وجدة، ثم إلى مكة والمدينة. ومع افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، وإطلاق الموصلات بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، تضاءلت أهمية قافلة الحج المصري تدريجياً. أما المسار السوري القادم من إستانبول، فيمرّ عبر جبزي، وأسكي شهير، وقونية، وأضنة[١]، وحلب، ودمشق، حيث ينضم الحجاج الروس القادمون من موانئ البحر الأسود إلى قوافل الحجاج من البلقان، والأناضول، وآسيا الوسطى، وبلاد فارس، وجنوب القوقاز، ويكملون الطريق سوياً من هناك. أما الطريق من دمشق إلى المدينة المنورة فيمرّ عبر المزيريب[٢]، والبلقاء[٣]، ومعان[٤]، ومنها إلى تبوك، ومدائن صالح، وخيبر في شمال غرب السعودية اليوم، وتبلغ مدة الرحلة من دمشق إلى المدينة في العادة ما بين ٢٧-٣٠ يوماً، ومنها إلى مكة ١٢ يوماً(Нуриманов, 2019, стр: 82). أما مدة الرحلة من موانئ البحر الأسود الروسية إلى إستانبول بالباخرة فتتراوح ما بين ٣٠-٣٤ ساعة، وأقصى مدة ٧ أيام (№ 10, (6297) 2008, стр: 16; Шафиков, стр: 105).

ومع تطور طرق السكك الحديدية، صار بعض حجاج القوقاز والتتار وغيرهم، ممن يريد قضاء وقتا أطول في إستانبول، يركبوا الباخرة من موانئ البحر الأسود الروسية حتى إستانبول فقط، ثم يكملون الطريق بالقطار عبر بيروت ويافا[٥] نحو المدينة المنورة على خط الحجاز، أو من إستانبول إلى بيروت، ويافا، والسويس[٦]، ومنها بالباخرة إلى ينبع وجدة (№ 10, (6297) 2008, стр: 16.)

(١) جبزي، وأسكي شهير، وقونية، وأضنة: كلها مدن تركية تقع في نواحي غرب الجمهورية التركية اليوم.

(٢) المزيريب: هي بلدة في أقصى جنوب سوريا.

(٣) البلقاء: إقليم من أرض الشام في غرب الأردن، تتوسطه مدينة عمان عاصمة البلاد. انظر: (البلادي، ١٩٨٢م، ج١، ص٤٩).

(٤) معان: هي مدينة وقاعدة محافظة معان في جنوب الأردن. انظر: (الخوند، ١٩٩٤م، ج١، ص١٩٠).

(٥) يافا: هي من أقدم وأهم مدن فلسطين التاريخية، تقع غرب فلسطين على البحر الأبيض المتوسط. انظر: (الموسوعة العربية، ٢٠١٠م، ج٧، ص٣٦٣٧).

(٦) السويس، مدينة مصرية، وعاصمة محافظة السويس، تقع على رأس خليج السويس؛ وهي أكبر المدن المصرية المطلة على البحر الأحمر. سميت قناة السويس على اسم المدينة. انظر: (الموسوعة العربية، ٢٠١٠م، ج٤، ص١٩٤٣).

وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر التاسع عشر وأوائل العشرين الميلادي، كان يمر عبر جدة سنوياً ما بين ١٦-١٨ ألف حاج من أراضي الإمبراطورية الروسية، وأغلبهم جاءوا على متن البواخر الروسية(Кейн, стр: 109-110)، وينطبق هذا العدد بطبيعة الحال على الحجاج الرسميين الذين توافدوا عبر موانئ البحر الأسود الروسية.

الطريق الثاني: يمر عبر جنوب القوقاز، وبلاد فارس، والعراق، وبلاد الشام، والحجاز. وقد استخدم هذا الطريق غالباً المسلمون الشيعة القوقازيون (Нефляшева, 2008, стр: 163-164)، الذين كانوا يزورون في الطريق إلى الحجاز أماكنهم المقدسة في النجف وكربلاء والكوفة(١)، ثم يكملون الطريق إلى مكة والمدينة (دولشين، ١٩٩٣م، ص١٦). وفق البيانات ما بين عام ١٣٠٧-١٣١٧هـ/ ١٨٩٠-١٨٩٩م، كان يمر عبر هذا الطريق سنوياً ما لا يقل عن ١٥ ألف حاج من نواحي الإمبراطورية الروسية، وأكثرهم من القوقاز(Кейн, стр: 96-97 Нуриманов, 2019, стр: 83).

الطريق الثالث: يمر عبر آسيا الوسطى، واستخدم هذا الطريق سكان التتار من نواحي شرق الإمبراطورية الروسية مثل سيبيريا والأورال(٢)، وكذلك سكان آسيا الوسطى. يمر هذا الطريق عبر سمرقند، وبخارى(٣)، ومزار شريف، وكابول(٤)، وممر خيبر(٥)، التي تربط

(١) النجف وكربلاء والكوفة: مدن عراقية تقع في جنوب بغداد. (الخوند، ١٩٩٤م، ج١٢، ص٢١٩-٢٢٦).

(٢) سيبيريا: منطقة جغرافية واسعة في شرق روسيا، تشمل كامل منطقة آسيا الشمالية، وتمتد من جبال الأورال غرباً إلى المحيط الهادئ شرقًا. وهي منطقة ذات كثافة سكانية منخفضة، يقطنها نحو خمس تعداد سكان روسي. أما أورال: فهي منطقة جغرافية في روسيا تمتد بين سهول أوروبا الشرقية وغرب سيبيريا.(Энциклопедия, 1939,T. 51, стр. 61; T. 56, стр. 178-180)

(٣) سمرقند، وبخارى: هما مدينتان واقعتان جنوب أزبكستان الحالية في آسيا الوسطى. وقد عرفت مدينة بخارى بالعلم والعلماء الأجلاء، وفي مقدمتهم: الإمام أبو عبد الله محمّد بنُ إسماعيل البخاري، والإمام إسحاق بن راهويه. (الخوند، ١٩٩٤م، ج٤، ص٤٠-٤٣؛ الموسوعة العربية، ٢٠١٠م، ج ٤، ص٢٣٩).

(٤) كابول ومزار الشريف: الأولى: مدينة وعاصمة أفغانستان، تقع في شمال غرب البلاد، أما الثانية: مدينة تقع في شمال افغانستان. (الموسوعة العربية، ٢٠١٠م، ج ٥، ص ٢٦١٤).

(٥) ممر خيبر: هي ممر جبلي ضيق حدودي في سلسلة جبال هندوكوش، تصل بين باكستان وأفغانستان قرب مدينة بيشاور الباكستانية. (الخوند، ١٩٩٤م، ج ٥، ص٦١).

أفغانستان بالهند البريطانية، ثم بيشاور، وكراتشي[١]، وبومباي. ومن هناك عبر المحيط الهندي إلى ينبع وجدة(Литвинов, 2015, стр: 3; Нефляшева, 2008, стр: 164).

الطريق الرابع: يمر بالقطار عبر قازان متجهاً إلى موسكو، ومنها إلى بطرسبرغ [٢]، وبولندا، والنمسا، والمجر، وصربيا، واليونان، وإستانبول، ولبنان، وسوريا، وفلسطين، ومصر، وجدة أو ينبع. وسلك هذا الطريق غالباً الحجاج الروس من بطرسبرغ، كما استخدمه بعض أثرياء التتار، خاصة في أوقات منع الحج في الإمبراطورية الروسية. ومنذ فتح خط حديد الحجاز عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م صار بالإمكان إكمال السفر من سوريا إلى الحجاز دون المرور بمصر. فاستغرقت الرحلة من موسكو حتى إستانبول عبر الدول الأوربية المذكورة ما بين ٦-٧ أيام. أما من دمشق إلى المدينة المنورة ما بين ٣-٥ أيام (Нефляшева, 2008, стр: 164; Нуриманов, 2019, стр: 85).

قبل تطور النقل البحري، وفتح قناة السويس، كان للقوافل السورية والمصرية أهمية كبيرة للحج الروسي؛ إذ إن القاهرة ودمشق ظلتا نقطة التجمع الرئيسية لمعظم الحجاج المسافرين إلى الحجاز من الشمال والغرب حتى ظهور وسائل النقل الحديثة (Нуриманов, 2019, стр: 81-82).

طبيعة رحلات الحج ما بين عام (١٢٨٠-١٣٣٥هـ/ ١٨٦٤-١٩١٧م):

شعرت روسيا كإمبراطورية مترامية الأطراف بمسؤولية تحديث البنية التحتية، لكي تربط بين أجزاءها الشاسعة، وتؤلف قلوب السكان من خلال اتباع السياسة المرضية للجميع، إذ إن صعوبة الوصول لم يكن من صالح روسيا، التي حرصت على ترسيخ سيادة

(١) بيشاور وكراتشي: مدينتان باكستانيتان، الأولى تقع في شمال باكستان بالقرب من أفغانستان. أما الثانية تقع في جنوب باكستان على بحر عمان. (الخوند، ١٩٩٤م، ج٥، ص٦١-٦٣).

(٢) بطرسبرغ أو سنت بطرسبرج: هي مدينة روسية تقع في أقصى شمال غرب روسيا على دلتا نهر نيفا، شرق خليج فنلندا على بحر البلطيق. وهي ثاني أكبر مدن روسيا وعاصمة الإمبراطورية الروسية في السابق لأكثر من مئتي عام. كما أنها رابع أكبر مدن أوروبا، وميناء مهم على بحر البلطيق. وتعتبر أحد أكبر مراكز أوروبا الثقافية. انظر: (الموسوعة العربية، ٢٠١٠م، ج ٤، ص ١٨٩٨).

الدولة واستقرارها الداخلي، حتى تتفرغ لمخططات خارجية متعددة الأبعاد الجيوسياسية، والأمنية، والاستراتيجية والتجارية.

كثفت روسيا جهودها في تنظيم الحج، الذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من سياستها الداخلية والخارجية، لأن المسلمين صاروا يشكلون نسبة كبيرة من المجتمع لا يستهان بهم، فمثلوا الشريحة الثانية بعد الروس الأرثوذكس من حيث العدد والتأثير. صحيح أن الذاكرة الروسية لم تكن إيجابية تجاه المسلمين بشكل عام، لأنها عاشت حوالي ثلاثمائة سنة تحت نفوذ المسلمين التتار، لذا عملت بجد من أجل محاربة المسلمين في بادئ الأمر، وإضعاف دينهم، وثقافتهم، لكنها أدركت بعد تجربة طويلة أنها لن تنجح، وأن المسلمين يمكن أن يساهموا في النهوض بالإمبراطورية بدلاً من حشرهم في الزاوية. وعليه قامت ببعض الإجراءات ومن أهمها: السماح للمسلمين بممارسة شعائر دينهم بحرية، غير أنها حاولت أن تكون عقلية المسلمين وتفكيرهم متماشيين مع توجه الإمبراطورية الروسية، وأن لا ينعزلوا عن المنظومة الثقافية العامة في الدولة.

أخذ حجاج القوقاز والتتار يتوافدون بأعداد كبيرة عقب انتهاء المواجهات العسكرية في القوقاز عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م. تبدأ رحلة الحجاج، غالباً في مستهل شهر رمضان، إذ يودعهم الأهل والأقارب والمعارف بمهابة واحتفال إلى نقطة التجمع في أقرب مدينة أو محطة السكك الحديدية، ومنها إلى أحد موانئ البحر الأسود الروسية، ثم إلى إستانبول، التي يقيمون بها حوالي أسبوع حيث يزورون بعض الأماكن، ويتزودون بما يحتاجون؛ ليكملوا الرحلة بعد ذلك عبر قناة السويس إلى ينبع أو جدة. وفي بعض الأحيان تكون الرحلة من إستانبول إلى الإسكندرية، ومنها إلى السويس بالقطار، ثم عبر البحر الأحمر إلى الحجاز. ينزل الحجاج عادة في ينبع إذا توفر لديهم الوقت، ومنها يسافرون إلى المدينة، ثم إلى مكة. أما إذا لا يتوفر الوقت الكافي، يتوجهون إلى جدة مباشرة، ومنها بالقوافل إلى مكة.

وعند وصول الحجاج إلى مكة أو المدينة يستقبلهم المهاجرون من التتار والقوقازيون وغيرهم من المستقرين هناك. يتميز هؤلاء بأنهم مرشدون دينيون يُسمون بتسميات مختلفة

فمنهم الأدلاء، والمزورين، والمطوفين[١]، فمثلا الحجاج التتار يرافقهم التتار، والحجاج من بلاد القوقاز يرافقهم القوقازيون وهكذا. فقد ذكر دولتشين، أن للمسلمين الروس في مكة ثلاثة مطوفين، أحدهم لأجل القادمين من القوقاز، والثاني لأجل القادمين من القرم، والثالث لبقية حجاج روسيا (ريزفان، ١٩٩٣، ص ص ٢٠٦، ٢٨٠). ومنهم من يقابلون الحجاج في إستابول أو في جدة ويرافقونهم من هناك (Шафиков, стр: 106).

كان الحجاج الذين يأتون عبر ينبع ثم المدينة، يغادرون مكة بعد الحج متجهين إلى جدة، ومنها إلى روسيا مباشرة أو عبر إستانبول. أما الذين جاءوا عبر جدة ولم يزوروا المدينة، فيتوجهون بعد الحج من مكة إلى المدينة، ويقيمون فيها مدة معينة، ثم يغادرون المدينة نحو ينبع، ومنها إلى روسيا مباشرة أو عبر إستانبول. وبعضهم يسافرون من المدينة عبر شمال الجزيرة العربية إلى بلاد الشام براً مع القوافل ولاحقاً بالقطار، ثم إلى إستانبول بالقطار أو بالباخرة، ومنها إلى روسيا عبر البحر الأسود (ريزفان، ١٩٩٣، ص٢١٢).

ويصف عبد الرشيد إبراهيم[٢] رحلته إلى الحجاز عبر الهند عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، ويذكر أن السفر من مكة إلى المدينة بثلاثة أنواع من القوافل: أحدها تسمى الراكب، وهي القافلة الخاصة بأهل المدينة، ويمكن لبعض الحجاج أن يسافروا معها، فهي قافلة آمنة، وتصل إلى المدينة خلال خمسة أو ستة أيام. أما الثانية، فهي القافلة الطيار، أي قافلة البدو،

(١) كان الأدلاء في المدينة يسمون المزورين، أما الأدلاء في مكة فيسمون المطوفين، عملهم الأساسي هو خدمة الضيوف، لكنهم مع الوقت تحولوا إلى مزاولة التجارة، ثم أصبحوا من السادات على الرغم من كونهم فقراء قبل سنوات، فصاروا يحملون لقب السيد. (إبراهيم،٢٠١١م، ج٢، ص٩٦٥-٩٦٦).

(٢) عبد الرشيد بن عمر إبراهيم أو إبراهيموف: عالم، ومفكر، وداعية، ورحالة، وسياسي. ولد عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م بمدينة تارا في سيبيريا الروسية لعائلة تركية من التتار. وقد تعلّم وعلّم في ربوع الإمبراطورية الروسية، وإستانبول، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وطاف في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ أوائل العشرين الميلادي عموم روسيا إلى شرقها في ميناء فلادفستوك، الذي أبحر منه إلى اليابان داعياً للإسلام، ومنها إلى كوريا، والصين، والهند، والحجاز، والشام، وإستانبول، ثم اليابان مرة أخرى، فأقام في طوكيو إلى أن توفي عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ودفن هناك في مقابر المسلمين. (إبراهيم، د ت، ص١؛ Мухетдинов и другие, 2017, стр: 67).

وتُسَيَّر من طرف أمير مكة، وبعلم الحكومة، وبضمانات من خلال أخذ رهينة من أصحاب الجمال. ولكن حتى مع وجود تلك الضمانات، إلا أن القوافل الحجاج لم تسلم من الغارات، ويلقى عدد كبير من الحجاج حتفهم، وتُنهب نقودهم وأحمالهم. أما القافلة الثالثة: فهي قافلة المحمل الشريف، التي تكون عادة تحت حماية الجيش العثماني، ويسافر الناس معها بكل أمان، غير أن الكثيرين لايرغبون السفر معها؛ لسلوكها طريقاً أطول (إبراهيم، د.ت، ج٢، ص٩٥٤).

يصف عبد الرشيد الجمالين البدو بأنهم أناس أمناء، وصادقون، وكرماء، ولايستغلون الحجاج في الطريق، ولا يؤذونهم، رغم أن البدوي محروم من التعليم والتربية، فإنه لا يعرف التحايل، والكذب، وإذا وعد فإنه يفي بوعده مطلقاً (إبراهيم، د.ت، ص ص١٨٨-١٨٩).

وفيما يتعلق بغارات البدو على الحجاج، فقد رأى العالم التتاري حميد الله الموشيف[1] خلال رحلة الحج عام ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠م عربات مدمرة في الطريق من جدة إلى مكة، فسأل أحد الضباط العثمانيين عند المقهى حول الحادث، فأجابه: أن البدو هاجموا قافلة الحجاج قبل ثلاثة أيام، ونهبوها، وقتلوا بعض الحجاج، فأخذوا عدداً كبيراً من الإبل بما معها (Альмушев, стр: 46).

ويلوم عبد الرشيد إبراهيم الحجاج التتار الأثرياء في عملية هجمات البدو، لأنه حسب رأيه تحدث تلك الغارات؛ بسبب المبالغ البسيطة، التي كان يمكن أن يتبرع بها هؤلاء الحجاج للبدو، حتى لا يعرضوا أنفسهم والحجاج الآخرين لخطر الموت، والنهب، والسلب. ويقارن تكاليف ومصروفات هؤلاء الحجاج التتار الأثرياء في مدن روسية كبرى مقابل ما يدفعونه من المبالغ البخسة في الحجاز. على أن الكثير من هؤلاء الأثرياء التتار كانوا

١) حميد الله بن فتح الله الموشيف (١٨٥٥–١٩٢٩): إمام وخطيب وعالم ومثقف تتاري، ومؤسس مدرسة حميد الله. درس في آسيا الوسطى ثم في مكة والمدينة. قد وصف رحلته إلى الحجاز ما بين عام ١٨٩٩-١٩٠١م عبر شرق أوربا مروراً ببولندا، والمجر، وإستانبول، واليونان، ولبنان وسوريا، وفلسطين، ومصر(Альмушев, 2006, стр: 3).

من قازان، ويحجون كل سنة، ويصرفون مبالغ هائلة، ويتمتعون ببالغ الاحترام في مكة والمدينة(Гафаров,2014, стр: 152).

حاول عبد الرشيد مبرراً تصرفات البدو بالظروف المعيشية الصعبة في الصحراء، إذ يرى أن الجرائم التي تقع في الحجاز ليست أغلبها على يد سكان الحجاز الأصليين. كما لاحظ أن السراق من مختلف الجنسيات يأتون في كل سنة مع الحجاج، ويعرفون اللغة العربية؛ بسبب ترددهم إلى تلك الديار، ويتزيون بزي العرب، ويدعون بأنهم عرب، حتى لا ينكشف أمرهم، وبذلك يمارسون أعمال السرقة (إبراهيم، ٢٠١١م، ص ص ٩٥٨-٩٥٩).

و قد أثني الموشيف ورفقاؤه على عرب الحجاز الأصليين، ويصفونهم بحسن الخلق، ويذكر أن أهل المدينة حينما يتجادلون أو يتخاصمون يقولون: "صل على النبي"، ليهدأ الأمر مباشرة. وخلال تنقله برفقة أصحابه في ربوع مكة والمدينة، لم يلاحظ أي خطر من العرب، بل يراهم مؤدبين ومتواضعين. ويذكر أنه في حال إذا لقيهم أهل المدينة في الطريق وهم راكبين الجمل أو الفرس، ينزلون على الأرض ويسلمون، ويطمئنون عليه وعلى رفقائه بكل الاحترام. اختار الموشيف الإقامة في الحجاز بعد الحج حوالي سنتين طلباً للعلم، وخلال إقامته زار أماكن كثيرة خصوصاً في المدينة المنورة، ولم ير من العرب ما لا يرضيه (Альмушев, 2006, стр: 55-59).

وتتجلى صعوبات رحلة الحج في الحجاز إذ يشير دولتشين إلى أن الحجاج يصابون بالذهول إذ كيف بالبدو أبناء موطن النبي صلى الله عليه وسلم، ويتجرأون على نهب وسلب إخوانهم في الدين القادمين ببالغ الصعوبة؛ لأداء فريضة الحج. كما ذهل بغياب العقاب من الدولة، لأن هذه الأعمال كانت تحدث في وضح النهار أمام الجنود العثمانيين غير المبالين بما يحدث. كما كان يبدو للحجاج من الغريب جداً انعدام النظام والنظافة في مكة والمدينة بالذات (ريزفان، ١٩٩٣، ص٢٢٦).

استفاد حجاج القوقاز والتتار قدر الإمكان خلال رحلة الحج، وتعرفوا على معالم دينية وتاريخية، والتقوا علماء في شتى المجالات الدينية، والاجتماعية، والسياسية، وقد أقام

الشيخ المرجاني خلال رحلة الحج في إستانبول ١٢ يوماً، وقد زار هناك بعض المؤسسات التعليمية، والتقى بوزير العدل العثماني، وبعض العلماء، وأهدى كتبه للمكتبات (Шафиков, стр: 104-106). كما أقام الموشيف بعد أداء الحج في الحجاز لمدة سنتين طلباً للعلم، وقابل خلالها بعض المسؤولين، والعلماء، والشيوخ، وكبار الشخصيات (Альмушев, 2006, стр: 3-9.).

يأتي إلى جدة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين الميلادي، أكثر من عشرة آلاف حاج روسي بشكل رسمي سنوياً، ومعظمهم قدم على متن البواخر الروسية(Арсанукаева, и другие, 2014, стр: 125; Кейн, стр: 110.). وحسب الإحصائيات خلال الفترة المذكورة وصل عدد الحجاج أحياناً ما بين ٢٠-٢٥ ألف (Шафиков, стр: 105-106; Арсанукаева, и другие, 2014, стр: 125)، وقد ورد في جريدة قازان أن عدد الحجاج بلغ ١٥ ألف في سنة ١٩٠٢م (Шафиков, стр: 104. Путь в Мекку) ويبدو في الإحصاء الأخير تم التركيز على الحجاج من نواحي الإمبراطورية الروسية الغربية، أي التتار والقوقازيين.

يتحتم على الحجاج من رعايا روسيا دخول الحجر الصحي في أثناء العودة خلال سنوات انتشار الأمراض، وخاصةً مرض الطاعون. وعادةً ما يلزم الحجاج الروس دخول المحجر الصحي في جدة وينبع لمدة يومين أو أكثر في بعض الأحيان، ثم يدخلون المحجر الصحي الثاني عند جبال سيناء أو في بيروت أو أماكن أخرى مثل منطقة أورلا(١) في إزمير وغيرها، وآخر المحاجر في موانئ البحر الأسود الروسية (Шафиков, стр: 108). وفي حالة لم يكن لدى الحجاج العائدين من الحجاز ما يثبت دخولهم أحد المحاجر الصحية في موانئ البحر الأسود الروسية، فقد تجبرهم السلطات الروسية بعمل الإجراءات الطبية حتى لو عادوا إلى بيوتهم، وذلك من خلال تكليف مسؤولي السلطات المحلية، بأن يقوموا بتفتيش الحجاج العائدين من الحجاز، وإلزامهم بالفحص الطبي(Кейн, стр: 117).

(١) أورلا: هي مدينة ومنطقة في مقاطعة إزمير الواقعة أقصى غرب تركيا.

محاولات روسيا تطوير نظام وسائل نقل الحجاج:

وضعت روسيا قوانين جديدة في عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م، تهدف إلى تحسين الخدمات في رحلات الحج عبر موانئ البحر الأسود، مُركزةً على قضية المواصلات، ولأجل ذلك أجرت بعض الإصلاحات في عملية النقل البري والبحري، وكلفت الحكومة الروسية السلطات المحلية بالعمل على الدعاية لبواخر وسكة الحديد؛ لحث السكان على اختيار وسائل النقل الروسية في سفرهم إلى الحجاز، بدلاً من اختيار البواخر الأجنبية، أو الذهاب عبر طرق القوافل البرية غير القانونية (Кейн, стр: 117-118).

وقد شهدت شركات النقل البحري تنافسا شديداً فيما بينها على نقل الحجاج الروس إلى الحجاز عبر البحر الأسود منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر التاسع عشر الميلادي، فكانت البواخر التابعة للشركات الأجنبية تعمل بنشاط واسع في البحر الأسود، وبخاصة البواخر العثمانية، والبريطانية، واليونانية. دخلت شركتان روسيتان مدعومتان من الدولة في هذا التنافس خلال الفترة المذكورة، وهما "رافيد ودوبروفلوت"(١)، اللتان تنافستا فيما بينهما أيضاً، ونظمتا رحلات من كافة موانئ البحر الأسود إلى جدة مباشرة أو مروراً بإستانبول أو بلاد الشام أو مصر. كما اتفقتا مع إدارات السكك الحديدية الروسية على نشر الدعايات لصالح البواخر الروسية، في جميع محطات القطار، الأمر الذي شجع معظم الحجاج على اختيار البواخر الروسية(Шафиков, стр: 104; Кейн, стр: 108-120).

من ناحية أخرى عملت شركات النقل البري والبحري في روسيا على تحسين خدماتها منذ عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م؛ إذ أَجْرَت شركة السكك الحديدية بعض التغييرات في نظام السفر المتعلق برحلة الحج، وجهزت عربات الحجاج بخصائص معينة، كُتبت عليها

(١) شركة رافيد تأسست عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، أما شركة دوبروفلوت في عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م. فهما شركتان تأسستا لأغراض تجارية خارجية روسية، وتطويرها، ثم أصبحتا خاضعتين للوزارة البحرية الروسية، وعملتا على نقل الركاب عشرات سنين، لخدمة الاستعمار. كما أنهما عملتا على خدمة نقل الحجاج؛ لزيادة الكسب ومساندة الدولة في التحكم والسيطرة على مسارات الحج (Энциклопедия, 1939, Т. 22, стр. 793; Кейн, стр: 108)

عبارة "الحجاز" باللون الأخضر. كما أعلنت إدارة البواخر الروسية عن رحلاتها مقابل أسعار معقولة، وذلك من كافة موانئ البحر الأسود الروسية إلى الحجاز. كما انتشرت مكاتب بيع التذاكر في جميع موانئ البحر الأسود، وفي محطات السكك الحديدية الروسية، مع تخفيضات لمن يشتري تذكرة ذهاب وعودة، وقد كانت الرحلة المباشرة من روسيا إلى البحر الأحمر تستغرق أسبوعين ونصف، أما العودة فتتراوح ما بين ١٠-١٢ يوماً فقط.

وفي مجال تحسين الخدمات وفرت البواخر الروسية غرف الوضوء، والماء البارد والحار مجاناً، ومكان بيع لباس الإحرام، وأماكن لبيع وجبات بأسعار مناسبة، وكذلك الشاي والقهوة. كما كان بإمكان الحجاج أن يتركوا بعض أغراضهم وأموالهم على متن البواخر في جدة حتى يعودوا بعد أداء الحج(Кейн, стр: 118-122).

ورغم هذه الخدمات الجيدة إلا أنه كان يوجد بعض الخلافات والمناقشات بين المسؤولين في الإمبراطورية الروسية حول تنظيم الحج، وكيفية تشغيل البنية التحتية بشكل أفضل؛ لخدمة حجاجها. استمر هذا الجدل حتى عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م بين المسؤولون إذ عقد العديد من الاجتماعات والمؤتمرات بين الوزارات، والسلطات المحلية، والجهات الحكومية الأخرى بما فيها شركات النقل، لحل مسألة تنظيم الحج بشكل نهائي. كما كان جميع النواب المسلمين في مجلس الدوما يثيرون مسألة الحج دون كلل أو ملل، فضلاً عن نقد الصحافة الروسية، والمطالبة بتحسين وتطوير خدمات الحج في كافة الجوانب، مع التأكيد على ضرورة سيطرة الدولة على حركة الحج، والتحكم فيها (Кейн, стр: 160).

وهذا لا يعني أن مساعي روسيا؛ لتنظيم الحج تعثرت، بل هناك عوامل داخلية وخارجية كانت تدفع الحكومة الروسية إلى بذل المزيد من الجهود، التي لم تنحصر فيما يتعلق بترتيبات الحج؛ إذ كانت تلك الجهود مرتبطة بجداول أعمال إستراتيجية خططت لها الإمبراطورية الروسية مسبقاً. وقد ساهمت البنية التحتية واسعة النطاق التي تم إنجازها، في تنظيم الحج، وتحقيق الأغراض الإستراتيجية في إطار سباق المنافسات الاستعمارية العالمية،

ومكنتها من تثبيت أقدامها، وتوسيع نفوذها بشكل أعمق في بلاد القوقاز، وآسيا الوسطى، ونواحي الدولة العثمانية، وبلاد فارس.

عند اندلاع الحرب العالمية الأولى في أغسطس عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، انتهت مشاركة الحكومة الروسية في عملية الحج، وعطلت الحرب شبكات الاتصالات العالمية، وأعاقت عملية تدفق الحجاج إلى مكة المكرمة، فانخفضت حركة الحج بشكل كبير في تلك الفترة. كما ساهمت الحرب في انهيار النظام الإمبراطوري الروسي في عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م، واستيلاء البلاشفة[١] على سلطة روسيا بقيادة فلاديمير لينين[٢]، وعزز البلاشفة قبضتهم على السلطة، فاستعادوا معظم أراضي الإمبراطورية الروسية السابقة؛ لإنشاء الدولة لشيوعية، وهي أول دولة اشتراكية في العالم (Кейн, стр: 161).

الخاتمة:

نستنتج من الدراسة أن رحلات الحج شكلت محوراً أساسياً في توثيق صلات القوقاز وبلاد التتار بالحجاز، وقد بدأت تلك الرحلات منذ فترة مبكرة، وإن كانت نادرة، بسبب البعد الجغرافي، والتحولات السياسية، ومشقة الطريق، وعدم وجود وسائل النقل المتطورة، غير أن الصلات بين الطرفين لم تنقطع، حيث ظلت قائمة بفضل رحلات الحج. وقد حرص حكام بلاد القوقاز والتتار على التواصل مع الحجاز عن طريق الحج بقدر الإمكان، كما أولت الحواضر الإسلامية اهتماماً بالغاً بهذا التواصل، وهيأت له أسباب الاستمرار بشكل أو بآخر، واستفادت منه كلا الطرفين في شتى الجوانب، خاصة فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية والثقافية.

---

(١) البلاشفة (الأكثرية): هم جماعة سياسية مؤيدة للينين، تكونت عام ١٩٠٣م بعد انشقاقها عن حزب العمل الاشتراكي الماركسي الروسي إثر خلافات داخلية مع المناشفة (الأقلية)، الذين لم يؤيدوا لينين. والفرق بين الجانبين، أن البلاشفة أرادوا الوصول إلى السلطة من خلال الثورة المسلحة، أما المناشفة فانتهجوا طريق الحل السلمي في حل المشكلات السياسية القائمة حينها (Энциклопедия, 1939, T. 7, стр. 44-48).

(٢) فلاديمير إيليتش أوليانوف لينين (١٢٨٧-١٣٤٢هـ/ ١٨٧٠-١٩٢٤م). مؤسس الحزب الشيوعي في روسيا، وقد قاد ثورة أكتوبر عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م، التي مكنت الشيوعيين من السيطرة على مقاليد الأمور في روسيا. ثم حكم لينين البلاد حتى وفاته عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م (Энциклопедия,1939, T. 36, стр. 318-322).

ازداد عدد الحجاج من القوقاز وبلاد التتار مع تطور وسائل النقل، وتحديث البنية التحتية، مما أحدث تحولاً كبيراً في حركة الحج، التي أصبحت في بعض الأحيان هماً تحملها الإمبراطوريات على أمل إرضاء رعاياها المسلمين، الذين مثلوا عددا كبيراً بين سكانها، وروسيا إحدى تلك الإمبراطوريات التي استولت على القوقاز وبلاد التتار، واستخدمت حركة الحج لأجل إرساء الأمن والاستقرار في المناطق التي غزتها، كما حاولت دمج رعاياها المسلمين في المجتمع الروسي، حتى يكونوا طرفاً مهماً في تحقيق طموحاتها الإقليمية والدولية.

نجحت روسيا بقدر كبير في ضبط وتنظيم رحلات الحج، والتحكم فيها من خلال تحديد المسارات عبر البحر الأسود، وفتح القنصليات في الولايات العربية العثمانية، ونشر الجواسيس في المنطقة وكذلك بين الحجاج. كما أنها أجرت بعض التغييرات في الهيكل التنظيمي للحج، وسنت القوانين الجديدة؛ لتسهيل السفر إلى الحجاز، ناهيك عن قيامها بإعادة الترتيبات في وسائل النقل، مع التركيز على جودة الخدمات؛ إذ تطلعت من خلال الحج إلى ربط العلاقات التجارية مع الحجاز، والولايات العربية الأخرى، وتوسيع نفوذها في المنطقة

واجهت روسيا عدة عقبات في تنظيم الحج، مثل عدم قدرتها على تحويل جميع حجاجها إلى المسارات التي حددتها، لأن بعضهم ظلوا يستخدمون طرق القوافل القديمة، كما لم تستطع منعهم من الارتباط بالدولة العثمانية، رغم حرصها على تسيير رحلات مباشرة إلى جدة وينبع دون مرور بإستانبول. وقد لجأت بين فترة وأخرى إلى منع الحج؛ لأسباب أمنية وصحية، لكنها كانت تتراجع عن قراراتها حينما تلاحظ علامات التمرد بين صفوف رعاياها المسلمين.

استغل الحجاج وطلاب العلم من القوقاز وبلاد التتار كغيرهم الإمكانيات العلمية المتوفرة في مكة والمدينة، وبخاصة منها العلوم الدينية. وقد تمتع الحجاج وطلاب العلم بشعبية واسعة بين أوساط المجتمع الروسي المسلم، ناهيك عن استفادة جميع الأطراف من اختلاف الثقافات، وتنوع اللغات، والقيم، والعادات، والتقاليد، التي ساعدت في توسيع دائرة المعارف، وتنمية المهارات.

الملاحق

أولاً: الوثائق

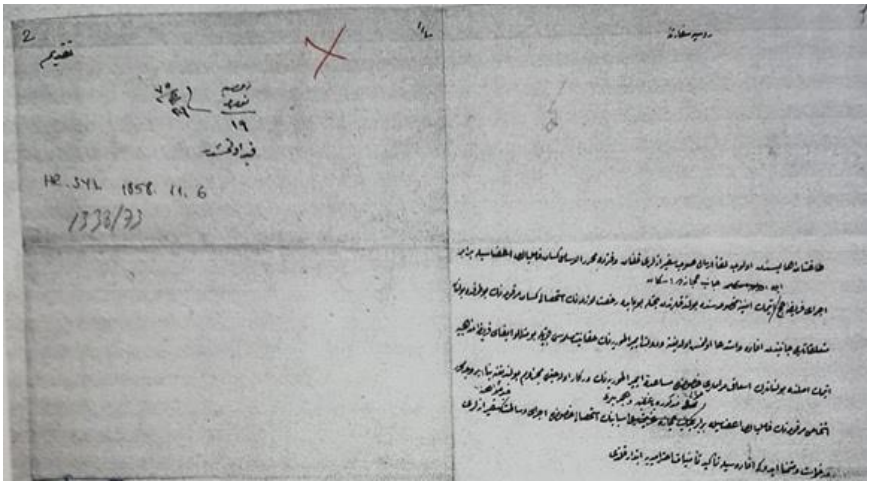

الترجمة:

إلى السفارة الروسية بناءً على الخطاب الوارد من أحد أقارب الآتي أسمائهم حول اعتزام هؤلاء المسجل أسماؤهم في قائمة مع أسرهم للتوجه إلى الحجاز لآداء فريضة الحج والإقامة فيها، وبما أن الإمبراطورية الروسية لا تمانع مثل هؤلاء من آداء فريضة الحج، كما هو أمر مسلم به، ولذلك المرجو منكم تسهيل معاملة هؤلاء مع أفراد أسرهم للاعتزام من السفر والهجرة إلى الحجاز.

ثانياً: الخرائط

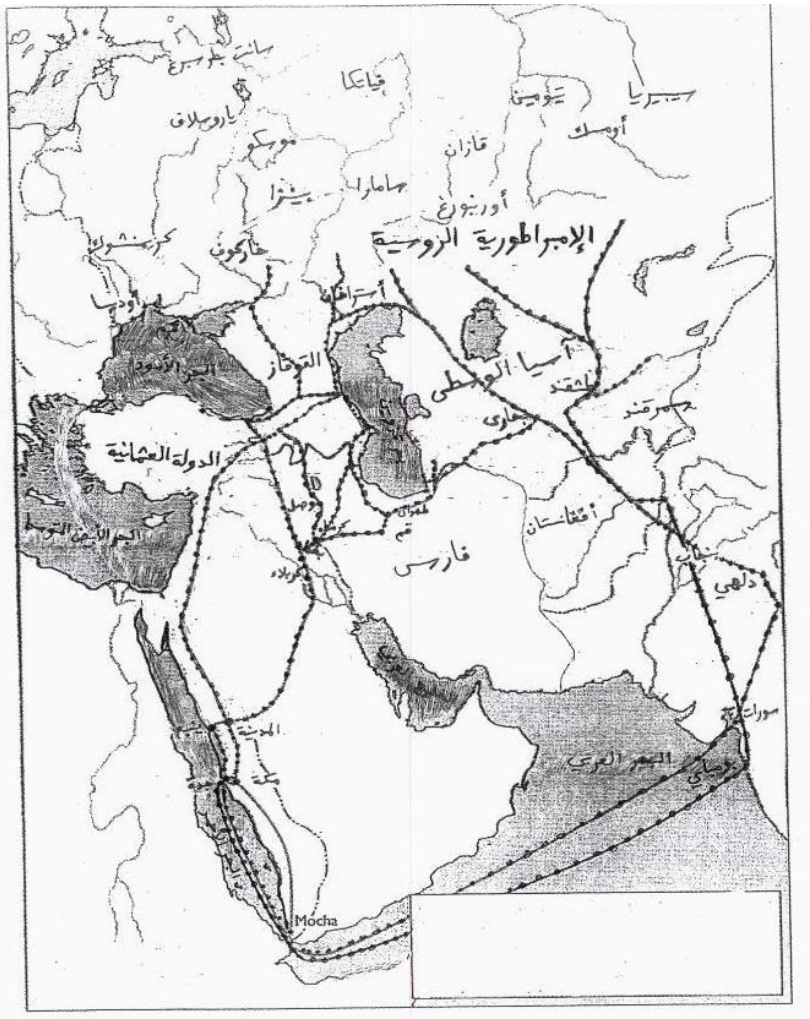

طرق القوافل البرية القديمة عبر القوقاز وآسيا الوسطى إلى الحجاز

(Кейн, Российский Хадж Империя и паломничество в Мекку).

طرق الحج القادمة من القوقاز وبلاد التتار إلى الحجاز قديماً وحديثاً.

(من عمل الباحث)

ثالثاً: الصور

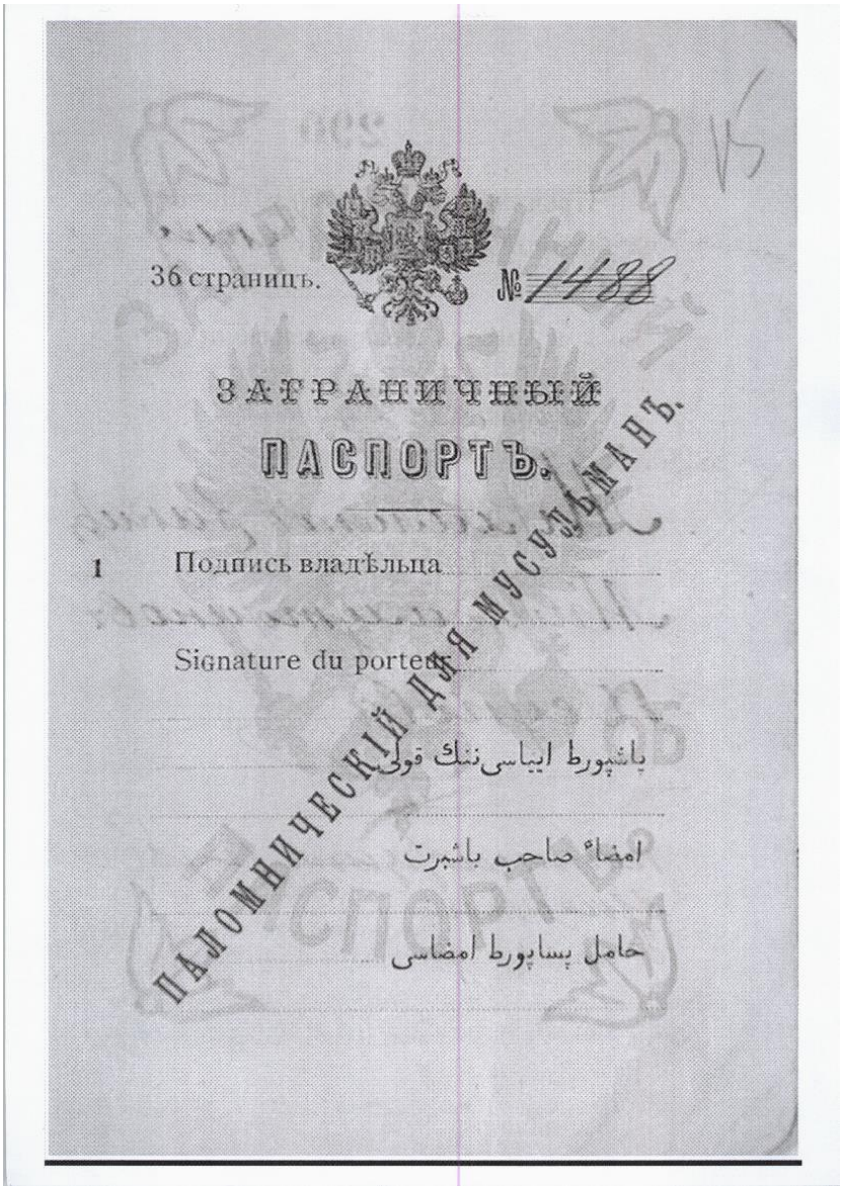

جواز الحج لمسلمي الإمبراطورية الروسية

(kavkaz-uzel.eu/blogs/1927/posts/49810)

قافلة الحجاج على طريق المدينة المنورة

(Х. Альмушев, Хадж-Наме, стр: 52)

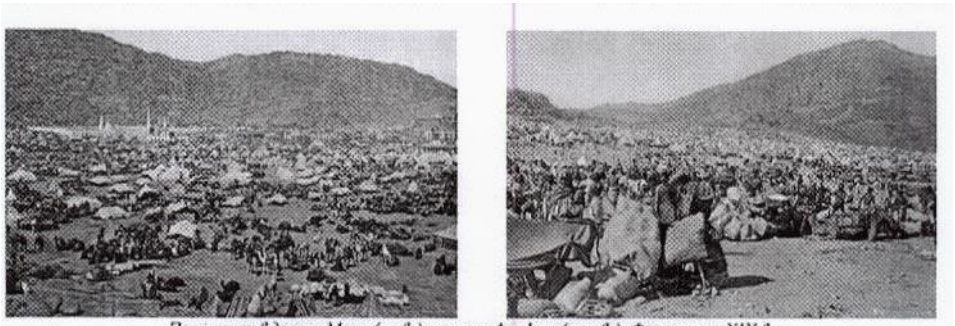

Паломники в долине Мина (слева) и у горы Арафат (справа). Фото конца XIX в.

حجاج في منى وعرفة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

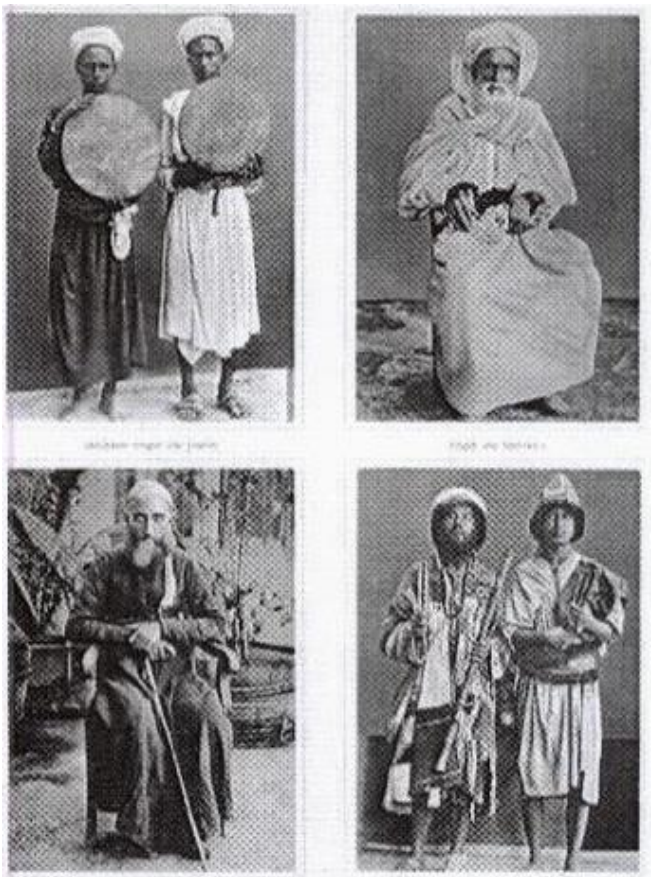

صور الحجاج في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

(Литвинов В. П. Российская дипломатия на востоке, стр: 400)

قائمة المصادر والمراجع:

الوثائق العثمانية:

MKT. 238/60, HR. MKT. 1338/73, A. MUT. VM 467/58, HR. SYS. 1370/63.

المصادر والمراجع العربية والمعربة:

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي. *الكامل في التاريخ*. اعتنى به: أبو صهيب الكرمي. بيت الأفكار الدولية. د. ط، د. ت.

ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد. *المسالك والممالك*. دار صادر. د. ط. ١٨٨٩م. ليدن.

أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي. *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*. تحقيق: محمد محمد أمين. تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب. د ط. د ت. القاهرة.

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق. *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*. تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي. دار المعرفة. ط١. ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م. بيروت.

البرزالي، علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف. *المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. المكتبة العصرية. ط١. ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. بيروت.

الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت. *معجم البلدان*. دار صادر. ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. بيروت.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد. *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. تحقيق: بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. ط١. ٢٠٠٣م. بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. *تاريخ الخلفاء*. دار ابن حزم. ط١. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. بيروت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله. *الوافي بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتري مصطفى. دار إحياء التراث. د ط.١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. بيروت.

صلاح الدين. محمد بن شاكر بن أحمد. *فوات الوفيات*. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر. ط١. ١٩٧٣م. بيروت.

المسعودي. أبو الحسن بن علي. *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي. المكتبة العصرية. ج١. ط١. ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م. بيروت.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. *نهاية الأرب في فنون الأدب*. تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز. دار الكتب العلمية. د. ت. بيروت.

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي، *سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض. دار الكتب العلمية. ج٣. ط١. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. بيروت.

بيرسون، مايكل ن. *الحج إلى مكة الخبرة الهندية (١٥٠٠-١٨٠٠م)*. ترجمة: أ.د. محمد خليفة حسن. دار كنوز المعرفة. ٢٠١١م. جدة.

ريزفان، يغيم. *الحج قبل مائة سنة (الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة ١٨٩٨-١٨٩٩م)*. دار التقريب بين المذاهب الإسلامية. ط ٢. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. بيروت.

الرمزي، م. م. *تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار*.قدم له وعلق عليه ووضع فهارسه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. ج١. ط١. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. بيروت.

إبراهيم، عبدالرشيد. *حياتي (أولى رحلاته إلى الحجاز بين عامي ١٢٩٦-١٣٠٢هـ/ ١٨٧٩-١٨٨٥م)*. ترجمة: إحسان وصفي. مراجعة: أ. د. صالح مهدي السامرائي. دار الميراث النبوي. ط ١. د. ت. مكة المكرمة.

إبراهيم، عبد الرشيد. *العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم*. ترجمة: صبحي فرزات وكامل خوجة. مراجعة: أ. د. صالح مهدي السامرائي. دار القبلة للثقافة الإسلامية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م. جدة.

إبراهيم، عبدالرشيد. *السيرة الذاتية للداعية عبد الرشيد إبراهيم*. ترجمة: إحسان وصفي. مراجعة: أ.د. صالح مهدي السامرائي. د ت. د ط.

زاده، عصام الدين طاشكبري. *الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية*. دار الكتاب العربي. ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. بيروت.

جوناتوقه، يوسف عزت. *تاريخ القوقاز*. ترجمة: خوستوقة عبد الحميد غالب بك. إستانبول. ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م.

دنلوب، د. م. *تاريخ يهود الخزر*. ترجمة: سهيل زكار. دار حسان. ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. دمشق.

فريد، محمد فريد بك ابن أحمد فريد باشا. *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق: إحسان حقي. دار النفائس. ط١. ١٤٠١هـ/١٩٨١م. بيروت.

باتسج، محمد خير مامسر. *الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية الأديغية*. دار وائل للنشر والتوزيع. ط١. ٢٠٠٩م. الأردن-عمان.

الشيشاني، أحمد موسى. *حرب القوقاز الأولى*. رابطة العالم الإسلامي. ١٤١٥هـ. الرياض.

مارغوشفيلي، رسلان. *الصراع العثماني الصفوي حول جورجيا وشرق القوقاز*. الجمعية التاريخية السعودية. ٢٠١٧م. الرياض.

السنيدي، عبد العزيز بن راشد. *المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من ٥٧٠-٦٦٠هـ/ ١١٧٤-١٢٦١م*. بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية. ١٤٢٦هـ. مكة المكرمة.

العبيكان، طرفة عبد العزيز. *الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة*. مكتبة الملك فهد الوطنية. ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. الرياض.

باقاسي، عائشة عبد الرحمن. *بلاد الحجاز في العصر الأيوبي*. دار مكة. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. مكة المكرمة.

قللي، سلجوق. *صقور القوقاز*. ترجمة: محمد حرب. مؤسسة دار الهلال. د ت. القاهرة.

البلادي، عاتق بن غيث البلادي. *معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية*. دار مكة للنشر والتوزيع. ط١. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. مكة المكرمة.

الزركلي، خير الدين. *الأعلام*. دار العلم للملايين. ط٥. ٢٠٠٢م. بيروت.

الموسوعة العربية الميسرة. المكتبة العصرية. ط١. ٢٠١٠م. بيروت.

الموسوعة العربية العالمية. *مؤسسه أعمال الموسوعة*. ط٢. ١٩٩٩م. الرياض.

الخوند، مسعود. *الموسوعة التاريخية الجغرافية*. دار رواد النهضة. ١٩٩٤م. بيروت.

المصادر والمراجع الأجنبية

أولاً: الروسية

Алеева, А. Х. *о развитии жанра путевых записок*. (саяхетнаме) в Татарской летературе. 1977. Казан.

Алкадари, Гасан. *Асари Дагестан*. перевод: Али Гасанова. 1929. Махачкала

Альмушев, Х. *Хадж наме*. перевод: А. М. Ахунов. Новгоро. Издательский 2006, .Дом Медина,

Амишов, Р. М.. *Паломничество в Мекку богослова Нургали Хасанова (1852–1919*). 2022. Казань.

Арсанукаева, Малика, Анджей Гиль, Анджей Шабацюк. *Ислам на Северном Кавказе*: история и вызовы современности. Люблин.2014. Майкоп.

Арсланова, А. А. *Народы поволжья и приурала между революциями (1905–1917гг.)*. 2017. Казань.

Белов, С. Г. и другие. *регионы компактного проживания Татар в Российской Федерации*. 2016. Казан.

Белокуров, С. А. *сношения России с Кавказом (1578-1613 гг.)*. 1889. стр. LXXI. Москва.

Васильев. Дмитрий и другие. *История Татар*. 2006. Казань.

Гаджиев, М. Г. О. М. Давудов, А. Р. Шихсаидов. *История Дагестан*. 1996. Махачкала.

Гафаров, А. А., *Российские Мусульмане в комтексте обшеисламскй модернизации (XIX – начало XX вв.)*. 2014. Казан.

Гичибекова. Ражабат Магомедкамильевна, *Идеологический Противостаяние в мусульманских Елите Дагестане 20-70-х гг. XIX ВЕКА*. 2017. Владикавказ.

Государственное сициально-экономическое издательство. *История Татарии в матерялах и документах*. 1937. Москва.

Гранат, Н. *энциклопедический словарм*. 1949. Москва.

Группа авторов, *История Татар*. Институт истории им. Ш.Марджани АНТ. «РухИЛ». 2006. Казан.

Исхаков, Д. М., И. Л. Измайлов. *Этнополитическая история Татар (III-середина XVI вв.)*. 2007. Казан.

Ишаев, Ш. М. Мекка священный город мусульман, *Рассказ паломника*. без даты и места печати.

Ишболдин, Борис. *Очерки из истори Татар*, перевод с Английского: Б. С. Мирзаянов. Университета Сент-Луи, штат Миссури. 1973. США.

Казиев. Шапи. *Имам Шамиль, Жизнь замечательных людей*. 2010.

Кейн, Айлин. *Российский хадж Империя и паломничество в Мекку*. Перевод: Ибатуллин Роберт. без даты и места печати.

Литвинов, В. П. *Российская дипломатия на Востоке и ее роль в обеспечении нужд паломников мусульман (вторая половина XIX — начало XX вв.)*. 1–2 (19–20)/2015 .

Маликов, Р.И. *Религиозно-просветительская деятельность богослова Нургали Хасанова*. 2020. Казань.

Мухетдинов. Д. В. и другие, *Ислам в Татарстане, Энциклопедический словарь*, Серия Ислам в Российской Федерации Выпуск VII. ИД Медина. 2017. Москва.

Нефляшева, Н.А. *Из России в Мекку: хаджж как опыт социокультурного пограничья*. 2008. Pax Islamica.

Нуриманов, И. А. *Становление паломнических маршутовн мусульман Российской империи в Арабию во второй половине XIX – начале XX в.,* Вестн. Моск. ун-та. сер.13.. 2019. востоковедение.

Федеральная просветительская газета. *Татарский Мир*. № 10 (6297) . 2008.

Хабибуллина, З.Р., *Хадж мусульманских народов России*. 2018 .Уфа.

Хасанов, М. Х. и другие. *материялы по истории Татарского народа*. 1995. Казань.

Шафиков, И.Ф., *Путь в Мекку: Будни Российских Паломников (конец XIX – начало XX в)*. УДК 94(47)+94(53)(047.2)+94 (560).

Шмидт, О. Ю. *Большая Советская Энциклопедия*. главный редактор. 1939. Москва.

ثانياً: الجورجية

ზარამიძე, ცირა. *კავკასია დროისა და სივრცის გასაყარზე.* 2016. თბილისი.

გელოვანი, ნანი. *თბილისის მუსლიმური თემი (1801-1917)*, 2021. თბილისი,